قمر الدم

كريم جمال

رواية

إضافة

قمر الدم

"جميعنا سيئون في رواية أحدهم."
ربما تشعر بأن تلك المقولة ليست غريبة عنك، فهي حكمة يتداولها العديد من الناس في عصرنا الحديث..
يتعامل معها السفهاء كمادة لتبرئ الذات من كل فعل مشين قد قاموا بإرتكابه في الماضي اتجاه الآخرين، ولكن أحد لا ينظر إليها بعين الحكمة والتقدير..
لا أحد يدرك قيمة أن الشخص الذي كان سيئاً قد تمكن من تخطي الأمر والمضي قدماً، فيبتسم و يحمد الله بدلا من أن يسرع بنشر المقولة عبر مواقع التواصل لإخلاء مسئوليته أمام الشهود.
بالطبع لن تفهم ما أعنيه إن فسرت لك الأمر بأن السفهاء عادة لا يأبهون لمشاهدة "قمر الدم"، و لكن لا تقلق..
فأنت على أعتاب أن تفهم ما أعنيه تماماً.

9 789778 573992

إضافة

قمر الدم

قمر الدم
رواية
كريم جمال
الطبعة الأولى : ٢٠٢٠
رقم الإيداع : ١٤٣٦٠ / ٢٠٢٠
ISBN 978-977-85739-9-2
١١٢ ص ، ٢٠ سم

دار إضافة
للنشر والتوزيع

الإسكندرية
ج٠م٠ع
{جميع الحقوق محفوظة ©}

المراجعة اللغوية: عادل أبو الأنوار
غلاف وإخراج فني: أمير مصطفى

قمر الدم

رواية

كريم جمال

إضافة
للنشر والتوزيع

الفصل الأول

السبت ٤ يناير ٢٠٢٠م.
الساعة العاشرة إلا الربع صباحًا.

في غرفة مظلمة لا يشغلها الكثير من قطع الأثاث، وفوق فراش واسع وغير مرتب، استيقظ ذلك الأربعيني الوسيم ذو القامة الطويلة والشعر الأبيض المجعد على صوت أنثوي يقول:

- هشام.. اصحى يا هشام.. اصحى يا حبيبي الوقت اتأخر.

رفع رأسه عن الوسادة فيما يفتح عينيه بالتدريج، وبوجه ممتعض ونبرة خمول قال:

- فيه إيه يا شيرين عالصبح؟

بدأت (شيرين) بترتيب الفراش فيما أجابت:

- فيه أن الساعة داخلة على ١٠ وجنابك لسه ما صحتش.

رفع جسده عن الفراش بعض الشيء، ثم قام بإشعال لفافة تبغ وقال:

- وإيه الجديد يعني؟ ما أنا كل يوم بصحى الساعة ١٠.

- الجديد أن عربيتي عطلت وهحتاجك النهاردة توصلني الشغل.

قالتها (شيرين) فيما تنهي ترتيب الفراش، وما أن اقتربت من (هشام) حتى وضع يديه حول خصرها وبنبرة إغواء قال:

- طب بقولك إيه.. ما تيجي نطنش الشغل النهاردة ونقضيها في البيت؟

قامت بإبعاد يديه عن خصرها وبنبرة جمود أجابت:

- والنبي يا هشام أنا مش عايزة مشاكل مع المدير الجديد.. وبعدين أنت مش حفلتك قربت؟ شغل إيه اللي مش عايز تروحه؟

وضع رأسه بالأرض محبطًا فيما نفخ ضيقًا من صدره، وغادرت (شيرين) الغرفة قائلة:

- يلا قوم إغسل وشك وغير على ما أعملك القهوة.

بخمول رفع الغطاء عن جسده ثم غادر الفراش متوجهًا إلى المرحاض، قام بغسل وجهه بالماء الدافئ ثم وقف يطالع وجهه أمام مرآة المرحاض لبضع ثوان، يتأمل التجاعيد التي تتزايد على وجهه يومًا بعد يوم، الشعر الأبيض الذي بات يغطي رأسه بالكامل، فترتسم على وجهه معالم الحزن، ثم يحاول تناسي الأمر، ويمسك بماكينة الحلاقة ليقوم بإزالة لحيته التي قد بدأت بالظهور.

* * *

خرج من المرحاض وعلى كتفه المنشفة ليتوجه بخمول إلى غرفة المعيشة.. غرفة من الطراز العصري، تزين جدرانها بعض اللوحات الزيتية لعازفي الأوركسترا، بالإضافة إلى عدة براويز تحوي صورًا لأنجح الموسيقيين عبر التاريخ، بها مقعدان واسعان وأريكة، تتوسطهم طاولة صغيرة وتقابلهم شاشة تلفاز عريضة.

ألقى بالمنشفة على أحد المقاعد ثم جلس فوق الأريكة وقام بإشعال لفافة تبغ، وأراح ظهره إلى الخلف، بينما جاءت زوجته لتضع أمامه فنجان القهوة قائلة:

- تحب أعمل لك ساندوتش تفطر بيه؟

بنبرة خمول أجاب:

- لأ شكرًا.

- طيب، أنا هخش أغير هدومي بسرعة وأنت خلص القهوة وحصلني.

قالتها زوجته قبل أن تغادر الغرفة ذاهبة إلى غرفة النوم، مد الأخير يده إلى الطاولة ليتناول المحوّل، ثم قام بتشغيل التلفاز على لقاء تلفزيوني تقول به المذيعة لضيفها الوقور:

- في السنين اللي فاتت بدأنا نشوف ظاهرة انتحار الشباب بتنتشر بصورة غير طبيعية، بصفتك أخصائي أمراض نفسية وعصبية.. تقدر تقولنا إيه اللي ممكن يوصل الشباب الصغيرين لفكرة زي دي؟

- شوفي حضرتك، أي فكرة من النوع ده بتكون ناتجة عن اضطرابات أو أمراض نفسية، والاضطرابات دي ممكن تنتج عن أسباب كتير جدًا.. الموضوع ممكن يكون مرضي أو مربوط بموقف أو حدث حصل في حياتهم، زي إنهم يحسوا بالوحدة أو يفقدوا شخص عزيز عليهم أو يتعرضوا لصدمة عاطفية من حبيب، وفي كل الحالات أنا بنصح أي حد تجيله أفكار من النوع ده إنه يلجأ لشخص متخصص في أسرع وقت.

ارتسمت على وجه الأخير معالم ضيق، ثم قام باحتساء فنجان القهوة كله في رشفة واحدة، ولحق بزوجته إلى غرفة النوم.

* * *

- "ودلوقتي أعزائنا المستمعين جه ميعادنا مع فقرة (أيام زمان)، سألناكم عن طريق صفحاتنا على مواقع التواصل عن أكتر مطرب قديم تحبوا تسمعوه، وكان فيه إجماع كبير على الفنانة الراحلة وردة.. فا يلا بينا نروح لوردة.. و(في يوم وليلة)."

كان ذلك ما قاله مذيع الراديو فيما يستمع إليه الزوجان بالسيارة، فرضت معالم الضيق سيطرتها على وجه (هشام) فور أن نطق المذيع باسم الأغنية، ثم قام بإغلاق الراديو، فرمقته زوجته بنظرة استغراب وبلهجة عتاب قالت: - ليه كدة يا هشام؟ ما تسيب الأغنية.

تجاهل الأخير كلماتها وقال:

- سلمى أخبارها إيه؟

أعادت (شيرين) نظرها إلى الطريق فيما أسندت رأسها إلى يدها وبنبرة ضيق أجابت:

- مفيش.. زي ما هي، بتنام طول النهار وتسهر طول الليل، لا بتنزل من البيت ولا بتقابل حد، ومش فالحة غير تبهدلي أوضتها باللوح والألوان كل يوم.

- أحسن برضه.

تعجبت (شيرين) من إجابة زوجها فيما رمقته بأعين الاستغراب مجددًا وقالت:

- أحسن؟.. هو إيه ده اللي أحسن؟!

ببرودة أعصاب ودون أن يبعد نظره عن الطريق أجاب:

- أحسن إنها ماتنزلش من البيت ولا تقابل حد.

انفعلت (شيرين) بعض الشيء في قولها:

- ليه يعني؟!.. هي مش من حقها تخرج وتشوف دنيا زي باقي البنات اللي من سنها؟

لم ينسق الأخير وراء انفعال زوجته، فقد ظل محافظًا على هدوء نبرته وجمود ملامحه، فيما أجابها بثقة ودون أن يبعد نظره عن الطريق قائلاً: - لا يا شيرين مش من حقها..

عشان بنتك مش زي باقي البنات اللي من سنها، بنتك واللي زيها لو نزلوا الشارع واتعاملوا مع مجتمعنا نفسيتهم بتتعب أكتر.. خليها تعيش في العالم بتاعها أحسن.

* * *

"صباح الخير يا مايسترو"، جملة قد تكررت على مسامع (هشام) لما يقرب من ٦ مرات في أقل من دقيقتين فقط، فقد وصل سعيد الحظ إلى حيث يمارس هوايته المفضلة ويتقاضى نظيرها المال، إنها "دار الأوبرا".. الصرح العظيم الذي قد شهد على ميلاد العديد من أباطرة الموسيقى المصريين، والذي قد دخله (هشام) لأول مرة في شبابه على أمل أن يجد لنفسه محلاً بين بحور الأوركسترا، وانتهى به المطاف كأستاذ ومحرك لها، ومن ثم فقد اعتاد على أن يتلقى التحية صباح كل يوم من شباب العازفين الذين لا يملك القدرة على حفظ أسمائهم أو حتى تذكر ملامحهم، تمامًا كالمعلم الذي يتولى التدريس لعدة مراحل عمرية من ذات المدرسة، فيجد نفسه في موضع حرج حين يصبح مطالبًا بتذكر أسماء طلابه في كل حصة، وقد يتناسى في بعض الأوقات أنه كان يجلس في محلهم قبل أعوام، وكان يشتهي الشعور بالاهتمام من قبل أستاذه.

أخذ يسرع المشي بين الحدائق العريضة التي تحيط ببناية "دار الأوبرا"، يحاول تخطي كل من يقابله بأسرع الطرق الممكنة كي لا يتأخر على موعد (البروفا)، حتى وإن كلفه الأمر أن يبدو وقحًا للبعض، إلى أن قابلته (هند)..

شابة في أوائل الثلاثينيات من عمرها، قمحية البشرة ذات شعر أسود وجسد ممشوق، تبدو لك كواحدة من تلامذته الذين لا يتذكر هوياتهم، أن رأيتها وهي تعزف على الكمان بين الأوركسترا، ولكن هذا ليس بصحيح.. فتلك المتمردة قد جعلها عشقها للموسيقى أن تفضل العزف على أوتار حياتها منفردة مهما تقدم بها العمر، حيث اتخذت قرارًا بألا تدخل في أي علاقة قد تمنعها عن الاستمرار بالعزف، وفضلت الحياة برفقة أختها المطلقة وصبيها الشقي عن الحياة برفقة رجل شرقي قد يمنعها عن ممارسة أكثر ما تحب بحجة الأعراف، ناهيك عن عامل الأقدمية الذي يرجح كفتها أمام الأغلبية ممن يجاورونها بالعزف، لذا فقد استثناها (هشام) عن القوم الذين لا يتذكر أسماءهم، وضع بها ثقة الملك بالملكة في لعبة الشطرنج، وجعل لها امتيازات خاصة عن بقية أعضاء الفريق.

قامت بإلقاء التحية عليه سريعًا ثم قالت:

- كلمت حضرتك امبارح كتير ماردتش.

أجاب بينما يمضي بسرعة وتلاحقه الأخيرة قائلاً:

- وأنا من إمتى كنت برد على التليفونات في الأجازة؟ خير كنتي عايزة إيه؟

- أحمد عبد الحي..

- مين أحمد عبد الحي؟

- الولد اللي بيعزف معانا تشيلو.. أبو دقن طويلة وشعر منعكش ده.

قاطع آخر كلماتها قائلاً:

- ايوة ايوة عرفته.. ماله؟

- اتصل امبارح واعتذر عن إنه يكمل معانا البروفات.

توقف (هشام) فور سماع كلماتها فيما التف ليرمقها بتعابير وجه ممتعضة وبلهجة انفعال قال:

- نعم؟!.. وده ليه أن شاء الله؟!

- مقدرتش أفهم منه أي حاجة.. كل اللي قالهولي أن عنده ظروف ومش هيقدر يكمل.

تنفس الأخير الصعداء بينما وضع رأسه بالأرض لوهلة ثم عاد وبنبرة أكثر هدوءًا قال:

- طب والعمل؟

- فيه ولد معرفة كان طلب مني من فترة أن حضرتك تشوفه، وللصدفة أن هو كمان بيلعب تشيلو ومستواه كويس جدًا.

عادت لصوته نبرة الانفعال مجددًا وقال:

- ومستنية ايه يا هند ما تكلميه!

- هو هنا من بدري ومستني حضرتك جوه.

* * *

شاب في منتصف العقد الثالث من عمره، لا تبدو عليه أي علامات انتماء لجيله، فشعره ليس حليق الجوانب، لا يرتدي تلك القلادة الفضية في رقبته، ولا يربي لحيته طمعًا بأن يثير إعجاب الفتيات.. وعلى الرغم من ذلك فإنه يبدو وسيمًا بما فيه الكفاية ليثير إعجاب أي فتاة، فإن شعره أسود وناعم، عظام فكه بارزة، ويملك عينان بنيتان واسعتان، يرتدي قميصًا أسود وسروالا بنيًا من الجبردين، بالإضافة إلى ساعة يد أنيقة وحذاء كلاسيكي نظيف، وكأنه قد جاء جاهزاً للمشاركة مع الفريق بالحفل، لا لبحث إمكانية انضمامه للفريق أولاً.
ترك ذلك المظهر انطباعًا إيجابيًا عند (هشام) حين التقى لأول مرة بعازفه الجديد، فقد ذكّره كثيرًا بالمظهر الذي كان يبدو عليه في شبابه، حيث كان دائمًا ما يؤمن بأن المظهر المرتّب أهم بكثير من مواكبة العصر، أما عن الوسامة فهي عطية من عند الله، ولا يجب على المرء أن يحاول اصطناعها طالما لم يرزقه الخلّاق بها..
مدّ كلاهما يده بالسلام إلى الآخر فيما عرفتهما (هند) ببعضهما ثم وجهت حديثها إلى (هشام) وأضافت:

- حازم على فكرة موهوب جدًا، أنا متأكدة أن مستواه هيعجب حضرتك.

نظر (هشام) إلى عازفه الجديد - الذي يُدعى (حازم) - وبنبرة جادة قال:

- الأهم عندي من مستواك هو أنك تكون ملتزم وبتعرف تفصل حياتك الشخصية عن البروڤات.. يعني حبيبتك تسيبك، صحابك يبيعوك، أو حتى حد يموتلك.. مفيش حاجة اسمها مش هكمل، خليك دايمًا فاكر أن اللي قبلك خسر مكانه في وسطنا عشان مقدرش يعمل ده.. وحط في دماغك أن الحياة غالبًا مش هتديك الفرصة دي مرتين.

بابتسامة ثقة على وجهه وبينما ينظر مباشرة إلى أعين (هشام) أجاب:

- ماتقلقش حضرتك.. أنا من زمان مستني الفرصة دي، وعمري ما هضيعها من إيدي.

* * *

الفصل الثاني

السبت ١ يونيو ٢٠٠٠م.
الساعة التاسعة مساءً.

أنوار خافتة، ضحكات عارمة، أصوات لزجاجات ترتطم ببعضها البعض، ومزيج بين ألحان (الچاز) التي تلعب عبر فريق من شباب العازفين في الركن، كانت تلك هي الأجواء التي تدور خلف ذلك الشاب العشريني ذو الوجه الوسيم والمظهر المرتب فيما يجلس وحده إلى أحد المقاعد المرتفعة أمام (البار) ليحتسي زجاجة من الجعة، حيث إنه يجلس في إحدى الحانات السياحية القديمة، يرتدي قميصًا أسود كلاسيكيًا وسروالا رصاصيًا من الجبردين، ولا تبدو على وجهه أي علامات تعجّب مما يدور خلفه، وكأنه قد جلس في ذلك المشهد لألف مرة من قبل..

نظر خلفه ليلمح فتاة جميلة تبدو في قرابة عمره، نحيفة الجسد ذات وجه حسن وشعر ناعم وطويل، لها أعين سوداء واسعة وشامة صغيرة على الرقبة، ترتدي ألوانًا مماثلة لما يرتديها الأخير، ولا تضع أيًا من المستحضرات التجميلية باستثناء قليل من الأحمر الذي يزين شفتيها الصغيرتين.

تجلس بين أصدقائها مبتسمة فيما تحتضن بين يديها كوبًا من الشاي، وعلى عكس الأخير تمامًا، فلا تبدو وكأنها تنتمي إلى ذلك المشهد على الإطلاق.

عاد الأخير لينادي على الشاب الذي يتولى تقديم المشروبات على (البار)، ثم أشار إليها برأسه قائلاً:

- مين اللي هناك دي؟

نظر إليها الشاب ثم عاد وبملامح استغراب على وجهه أجاب:

- مش عارف.. أول مرة أشوفها.

عاود الأخير النظر إليها لوهلة ثم ترك مقعده وذهب إلى حيث يعزف فريق (الچاز)، توقف جميع من بالفريق عن العزف فور رؤيته، ثم ناوله أحدهم آلة البوق وقدمه آخر إلى الناس عبر المذياع باسم (هشام)، حل الهدوء على الأركان والتفتت جميع الأنظار إليه، فيما اقترب الأخير من المذياع وبدأ يعزف واحدة من روائع (لويس أرمسترونج)، يعزف مغمضًا عينيه وبمهارة لا تصدق على شاب في منتصف عقده الثالث، وكأنه مخضرم مشهور قد جاء من بلاد الغرب ليحيي حفلا تاريخيًا أمام سفح الأهرامات، ليس مجرد شاب مغمور يحاول أن يلفت انتباه فتاة عن طريق إظهار موهبته في إحدى الحانات السياحية القديمة في (وسط البلد)..

وما أن انتهى من العزف حتى ضج الجميع بالتصفيق، وفتح عينيه على الفاتنة التي لفتت انتباهه قبل قليل، رمقها بأعين تقول "أنا قادم لاصطيادك".. وأجابته بابتسامة تقول "وأنا جاهزة لأصبح فريستك".

* * *

لم يمضِ الكثير من الوقت حتى تمكن (هشام) من الحصول على ما يريد، فقد نجح في اختطاف (شهد) من بين أصدقائها قبل أن يعود إلى كرسيه، كما نجح أن يقنعها بأن تشاركه شرب الكحول مستخدمًا حيلة استفزازية بسيطة، وكان غرضه من ذلك أن تخضع الفتاة لتأثير الكحول فيصبح باستطاعته أن يستدرجها للتعارف بصراحة أكبر، وها هما يجلسان إلى طاولة تقبع في أحد الأركان، يتبادلان الضحك بصورة هستيرية فيما يتخطيان بحديثهما مراحل التعارف بسرعة لا تصدق..

رن جرس هاتف (شهد) الخلوي ولكنها تجاهلت الرد على المكالمة فسألها الأخير:

- حد من البيت بيكلمك؟

- حد زي مين؟

بلهجة استنكار قالتها، فارتسمت علامات التعجب على وجهه وأجاب: - يعني.. بابا كي مثلا أو مامتك.

ابتسمت الفتاة بسخرية فيما انطفأ بريق عينيها وقالت:

- لأ.. أنا بابا وماما ماتوا في حادثة من سنتين.

- الله يرحمهم..

قالها (هشام) فيما ارتسمت على وجهه أمارات التعاطف، ثم حاول تغيير دفة الحوار فأضاف:

- بس عايزة تفهميني إنك عايشة لوحدك في السن ده؟

ارتسمت ملامح الهم على وجه الفتاة فيما أجابت:

- مش بالظبط.. عايشة مع أخويا الصغير.. من ساعة ما بابا وماما ماتوا وأنا بقيت مضطرة أشيل مسئوليتنا إحنا الاتنين.. مضطرة أبقى ب١٠٠ راجل في بعض، وأشيل مسئولية بيت وطفل وأنا لسه حتى ماتخرجتش، وأستغنى بقى عن أحلامي وهواياتي وكل حاجة بحبها، عشان أقدر أشتغل جنب الدراسة وأجيب فلوس تعيشني أنا وهو كويس.

- وليه ماتبصيش للموضوع من الناحية التانية؟.. مش يمكن لو كانت الحياة استمرت زي ما هي كنتي تتجوزي بعد سنة أو اتنين وتستغني برضه عن كل حاجة بتحبيها عشان تشيلي نفس المسئولية؟

بابتسامة سخرية ولهجة ثقة أجابت:

- مستحيل.. أنا كان عندي استعداد إني أقضي باقي حياتي لوحدي ولا إني أبطل ألعب مزيكا.

ارتسمت علامات التعجب على وجه الأخير وقال:

- مزيكا؟.. انتي كنتي بتلعبي مزيكا؟

- آه.. هو أنا ما قولتلكش؟

بلهجة استنكار قالتها فأجاب ضاحكًا:

- لا ما قولتيش.. كنتي بتلعبي إيه؟

- تشيلو.

ارتفع حاجباه إعجابًا وقال:

- هممم.. ونفسك ترجعي تلعبي تاني؟

ارتسمت ملامح الضيق على وجهها فيما أجابت:

- أكيد نفسي، بس خلاص بقى.. مابقاش ينفع.

امتعض وجهه بعض الشيء وقال:

- ليه كدة؟

أجابت وملامح الضيق لا تزال على وجهها:

- لإني بعته بعد الحادثة عشان أقدر أكمل مصاريف حضانة أخويا..

نظرت إلى ساعتها ثم أضافت:

- الوقت اتأخر أوي.. أنا لازم أروّح.

قامت لتغادر المكان فلحق بها الأخير قائلاً:

- ماينفعش تروّحي لوحدك وانتي في الحالة دي.. أنا معايا عربية هوصلك.

* * *

توقفت سيارة (هشام) أمام البناية السكنية التي يقبع بها منزل (شهد)، كانت الساعة قد قاربت على منتصف الليل، وكانت الفتاة في حالة خمول شديد.. رمقها الأخير بأعين الحب وبابتسامة ود قال:

- حمد الله عالسلامة.

بادلته البسمة قائلة:

- الله يسلمك.. أنا آسفة بجد تعبتك معايا.

- على إيه؟ تعبك راحة..

خرجت (شهد) من السيارة فنادى عليها مجددًا ثم نظر إليها من النافذة وبابتسامة ود قال:

- هشوفك تاني؟

بلهجة مكر وبابتسامة فوق شفاهها أجابت:

- أنا عيد ميلادي يوم الأربع الجي، وكنت بفكر يعني إني أجيب حد يلعبلنا مزيكا يومها.. فا لو ماعندكش مانع ممكن..

قاطعها مبتسمًا:

- ماعنديش.

* * *

الفصل الثالث

الخميس ٩ يناير ٢٠٢٠م
الساعة الثالثة مساءً.

مضت بضعة أيام منذ أن التقى (هشام) بعازفه الجديد.. لم ينتهِ الأمر عند الانطباع الأول الإيجابي الذي أخذه الأربعيني عن ذلك الشاب وحسب، فقد تفاجأ بمستواه في العزف بمجرد أن أمسك بالقوس وبدأ يمرره فوق أوتار التشيلو، حيث كان يعزف بمهارة وتمكن لا يتناسبان مع عمره، كما أنه لم يحتج للكثير من الوقت حتى يتأقلم مع بقية أعضاء الفريق، فقد نجح (حازم) في كسب مودة زملائه منذ الساعات الأولى له بينهم، مثلما نجح في كسب مودة أستاذه الصارم خلال الأيام القليلة الماضية أيضًا، وأصبح من القلة القليلة التي ينظر لها (هشام) بنظرة الأب لأبنائه، لا بنظرة المايسترو لعازفيه.

خرج (هشام) من بناية "دار الأوبرا" متوجهًا إلى سيارته حتى يعود إلى المنزل عقب نهار ثقيل من استعدادات الحفل، ركب سيارته،

وما كاد يدير المحرك حتى رأى (حازم) وهو يعبر الطريق من أمامه حاملا آلة التشيلو الضخمة في حقيبة على ظهره، قفزت في باله فكرة قد تعطيه مساحة أكبر للتعرف على هوية ذلك العشريني الموهوب الذي يذكّره بشبابه، فقد كان الفضول يتملكه يومًا بعد يوم تجاه هذا الشاب، كان يريد أن يتعرف على البيئة التي أتى منها، أو بمعنى أدق.. البيئة التي أنتجت نسخة طبق الأصل منه، فنادى عليه وعرض أن يوصله إلى المنزل في طريقه، ووافق الأخير بعد إلحاح من أستاذه..

لحظات مرّت حتى قرر (هشام) أن يبدأ بنيل غايته فقال:

- ماقولتليش يا حازم.. أنت اتعلمت تشيلو منين؟

أجاب الأخير دون أن يبعد نظره عن الطريق قائلاً:

- وأنا صغير كانت مدرسة الموسيقى بتعلمني الأساسيات.. بعدها بدأت أتفرج على ڤيديوهات على النت وأتعلم منها.

- ويا ترى مافيش حد من أهلك لاحظ موهبتك وقرر يدخلك معهد الموسيقى تتعلم مثلا؟

أجاب ضاحكًا:

- ياريت والله يا مايسترو.. بس أنا والدي ووالدتي متوفيين من زمان.

ترحم الأخير على والديه ثم قال: - أومال أنت عايش مع مين؟

- عايش لوحدي من بيجي ١٠ سنين.

ارتسمت ملامح الدهشة على وجه (هشام) بينما رمقه بأعين الاستغراب وقال:

- ياااه.. ١٠ سنين!.. أنت يابني عندك كام سنة؟!

- ٢٥ سنة.

- يعني عايز تفهمني إنك عايش لوحدك ومتولي مسئولية نفسك بالكامل من وأنت عندك ١٥ سنة بس؟

ارتسمت ملامح الهم على وجه الأخير فيما أجاب:

- هعمل إيه بقى.. أصل جدتي اللى كنت عايش معاها توفت في الوقت ده، وبقيت تقريبًا مقطوع من شجرة.. فماكانش قدامي حل غير أني أعيش لوحدي وأتحمل مسئولية نفسي.

زادت تلك المعلومة من إعجاب (هشام) بصبيه الجديد أضعافًا، حيث إنه قد واجه ظروفًا صعبة كالتي واجهها (هو) منذ زمن، وتمكن من التغلب عليها دون أن تنعكس على ثقافته أي خسائر..

أومأ (هشام) برأسه تفهمًا ثم قال:

- وعلى كدة بقيت بتعرف تنضف وتغسل وتطبخ وتعمل كل الحاجات دي لنفسك؟

أجاب (حازم) ضاحكًا:

- بغسل وأنضف آه..

لكن بصراحة حكاية الطبخ دي ماليش فيها، أغلب الوقت بيكون أكلي من الشارع والمعلبات.

وجد (هشام) فرصة جيدة كي يتعرف عليه أكثر، فانبعج وجهه وبنبرة ودّ قال:

- لاا١ ده أنت تجيلي بكرة البيت أغديك أكل بيتي على حق.. وأهو بالمرة أعرّفك على مراتي وبنتي.

ابتسم الأخير قائلاً:

- يا سلام؟.. ده شرف ليا يا مايسترو.. حضرتك بس اديني العنوان وبكرة هتلاقيني عندك.

صمت (هشام) لوهلة فيما ارتسمت على وجهه ابتسامة حنين وأردف:

- أنت عارف إنك بتفكرني بنفسي زمان أوي؟.. أنا كمان أمي اتوفت بعد ما ولدتني بسنتين، وفضلت عايش مع أبويا لحد ما هو كمان اتوفى وأنا عندي ١٦ سنة.. ساعتها اضطريت أنزل أعزف في البارات عشان أعوّض الفلوس اللي كنت باخدها منه، وفضلت عايش حياة العزوبية يجي ١٠ سنين زيك.. بعدها اتجوزت وخلفت سلمى، وبقيت زي ما أنت شايف كدة.. المايسترو هشام رفيق.

- يعني تفتكر فيه أمل يا مايسترو؟

قالها (حازم) مازحًا، فابتسم الأخير لوهلة ثم بلهجة تجمع بين الثقة والمزاح أجاب:

- أنا أفتكر إنك بتسأل السؤال ده من الباب التواضع مش أكتر.. لإني متأكد أنك زيي، وأنك واثق من نفسك وعارف كويس أنك هتوصل.. وإلا ماكنتش تشيل البتاع اللي قدك مرتين ده على ضهرك في الرايحة والجاية.

تبادل كلاهما الضحك لوهلة قبل أن يصلا إلى الحي الذي يقبع به منزل (حازم)، عندها طلب (حازم) أن يغادر السيارة ويكمل الطريق وحده إلى المنزل، ولكن الأخير قد رفض بحجة أنه لا يريده أن يحمل آلة التشيلو -بوزنها الثقيل- حتى المنزل، ثم بدأ يستدل منه عن الشوارع التي يجب عليه أن يسلكها حتى يوصله لأقرب نقطة ممكنة، كان ينظر حوله -وكأنه يسترجع ذكريات- كلما مضى بالسيارة إلى حيث يوجهه الأخير، وما أن توقف بالسيارة -حيث طلب منه (حازم)- حتى ارتسمت على وجهه علامات التعجب وسأله:

- أنت ساكن هنا؟

- أيوة..

ظل الأربعيني صامتًا، فيما راح ينظر حوله ويسترجع بعض الذكريات التي تربطه بالمكان، فارتسمت علامات التعجب على وجه الأخير وأضاف:

- مالك يا مايسترو؟.. فيه حاجة؟

عاد (هشام) بنظره إلى الشاب فيما رسم البسمة على وجهه وأجاب:

- لا أبدًا.. كان فيه حد عزيز عليا ساكن هنا بس.

عادت البسمة إلى وجه (حازم) من جديد ثم أضاف الأخير:

- هستناك بكرة على الغدا.. مانتأخرش.

* * *

الفصل الرابع

الأربعاء ٥ يوليو ٢٠٠٠م
الساعة الرابعة والنصف مساءً.

قبل ساعات من الاحتفال بعامها الرابع والعشرين، وبين جدران غرفة واسعة تحوي فراشين، كانت (شهد) تجلس في ثوبها المريح أمام المرآة.. تصفف شعرها فيما تدندن بكلمات غنائية غير واضحة، حيث أن صوت المسلسل الكرتوني -الذي يشاهده أخوها عبر التلفاز- كان يغطي تمامًا على صوتها..

دق جرس باب المنزل، فطلبت من أخيها أن يذهب لكي يفتحه، ولكن الأخير قد تجاهل طلبها مهمهمًا ببعض الكلمات الطفولية التي تنم عن الرفض، أعادت الطلب مجددًا.. فتجاهل طلبها مجددًا، فبلهجة تذمر قالت: - يووووه!.. هو أنت مابتعملش حاجة كدة أبدًا!

ثم قامت لكي تفتح الباب بنفسها.. لم تكن تتوقع أن تجد خلف الباب ذلك الشاب الوسيم الذي أبهرها عزفه وشربت معه الكحول قبل بضعة أيام، حيث كانت تتذكر أنها قد دعته لحضور حفل عيد ميلادها الذي سوف يقام ليلا وفي الخارج، لا لزيارتها بالمنزل في ساعات النهار.

لذا فقد ارتسمت على وجهها تعابير المفاجأة وقالت:

- هشام؟!.. أنت بتعمل إيه هنا؟.. ده العيد ميلاد لسة بالليل.

- أنا عارف.. بس قولت أجيبلك ده على البيت أحسن.

قالها الأخير بينما يلتقط أنفاسه تعباً ويتناول حقيبة سوداء ضخمة من جانبه ويعطيها للفتاة، لم تدرك (شهد) ما بها للوهلة الأولى، فارتسمت على وجهها علامات التعجب وقالت:

- إيه ده؟

وما إن أمعنت النظر إلى هيئتها حتى اجتاحت تعابير المفاجأة وجهها وقالت:

- لأ بتهرج!.. ده تشيلو؟!

ابتسم الأخير قائلاً:

- كل سنة وانتي طيبة.

رفعت عينيها إليه مجددًا، ثم بابتسامة ودّ وملامح سعادة على وجهها قالت:

- تعبت نفسك أوي يا هشام، بجد مش عارفة أقولك إيه.

- ما تقوليش أي حاجة.. أنا كل اللي عايزه أنك ترجعي تعملي الحاجة اللي بتحبيها تاني.

صمتت الفتاة عاجزة عن إيجاد المفردات التي تمكنها من التعبير عما بداخلها، ولكن عينيها قد نابتا عن لسانها وأدلتا بكل شيء،

أدلتا بأنها سعيدة.. أدلتا بأنها ممتنة.. أدلتا بأن قوة لا تقاوم قد دفعتها للتو من على حافة تل الغرور لتقع في نهر العشق، وأن سهم (كيوبيد) لم يفشل تلك المرة في إصابة قلبها..

أفاقت من شرودها في عينيه لتدرك أنه لا يزال يقف بالخارج، فتراجعت خطوة للوراء ودعته للدخول قائلة:

- طب واقف بره ليه؟.. اتفضل أخويا هنا.

تقدم الأخير إلى الداخل وبدأ ينظر حوله ليتبين معالم المكان، وقع نظره في البداية على مقعدين وأريكة يقابلون الباب، ثم على ساعة حائط معطلة على الجدار الأيمن، ثم على عدد لا بأس به من الصور العائلية التي تزين الجدار الأيسر.. وما كاد يتقدم لرؤية تلك الصور حتى تعثرت إحدى قدميه في لعبة أطفال على الأرض، حينها أسندته الفتاة قائلة:

- خلي بالك..

استعاد الأخير توازنه وبابتسامة خجل قالت:

- معلش بقى أصل أخويا بيلعب هنا ليل نهار.. ومابقتش بلاقي وقت إني أنضف غير كل فين وفين أنت عارف.

- ولا يهمك.. ربنا يكون في عونك.

بابتسامة لطف قالها، ثم أكمل خطواته وراح يتنقل بعينه بين الصور، فعلقت الفتاة -بينما تقف بجواره- قائلة:

- أنا عارفة إنك ممكن تستغرب المنظر، لإن مفيش حد دلوقتي بقى بياخد باله من الحاجات دي.. بس بابا الله يرحمه كان بيحب يوثق كل ذكريانتا مع بعض بصور.

ابتسم الأخير قائلاً:

- الله يرحمه.

وقفت الفتاة شاردة الذهن فيما تشاركه النظر إلى الصور لوهلة ثم أفاقت من شرودها قائلة:

- أنا آسفة نسيت أسألك.. تشرب إيه؟

عاد الأخير لينظر إليها وبابتسامة لطف ولهجة مزاح قال:

- ولا حاجة.. أنا بس عايزك توريني إذا كنتي جامدة في التشيلو كدة فعلا ولا أي كلام.

بادلته البسمة قائلة:

- بص أنا هفتح أجربه.. بس متستناش إنك تسمع حاجة كويسة.. أنا بقالي سنتين ماعزفتش.

أومأ الأخير برأسه متفهمًا، فيما ربّع ذراعيه ووقف منتظرًا أن يشاهد جميلته وهي تعزف لأول مرة، أخرجت (شهد) آلة التشيلو من حقيبتها ثم أخذتها وجلست إلى أحد المقاعد وراحت تسترجع ما يمكنها استرجاعه من ألحان، لم يكن مستواها قويًا بما فيه الكفاية ليقارن بمستواه، ولكنها قد أبلت بلاءً حسنًا بالنسبة له،

خاصة وبالنظر لأنها لم تعزف منذ عامين كاملين.. وما كادت تعيد آلة التشيلو إلى حقيبتها حتى تعثرت أقدامها في إحدى ألعاب شقيقها المتناثرة على الأرض، واختل توازنها فسقطت، وسقطت معها الآلة أرضًا، أسرع الأخير ليساعد الفتاة على النهوض، ثم بنبرة قلق سألها:

- انتي كويسة؟!

- الحمد لله ماحصلش حاجة..

قالتها (شهد) بينما تبدو عليها بعض علامات الألم، ثم أشارت برأسها إلى آلة التشيلو وبنبرة قلق أضافت:

- شوف بس التشيلو لا يكون جراله حاجة.

- طيب ارتاحي انتي وأنا هشوفه.

ذهبت الفتاة لكي تريح جسدها إلى المقعد، بينما قام الأخير برفع الآلة عن الأرض حتى يتفحصها من آثار الارتطام، فلحسن الحظ لم يجد أن الارتطام قد أحدث بها سوى خدش صغير من الجانب وحسب، سألته الفتاة قلقة:

- جراله حاجة؟

أجاب مطمئنًا:

- لأ الحمد لله جت سليمة.. خدش صغير بس.

عادت الطمأنينة إلى وجه الفتاة فيما حمدت الله على أنه لم يحرمها من آلتها الجديدة أيضًا،

قام الأخير بإعادة الآلة إلى حقيبتها ثم أسند ظهره إلى الحائط وعقد ذراعيه، أخذ يفكر لوهلة ثم قال:

- سمعتي عن قمر الدم قبل كدة؟

رمقته الفتاة بأعين الاستغراب وبنبرة تعجب قالت:

- نعم؟

ضحك الأخير من ردة فعلها ثم أردف:

- لما الأرض بتحجب ضوء الشمس عن القمر بتحصل ظاهرة اسمها الخسوف.. أحيانًا بيكون خسوف جزئي، وده لما جزء من القمر بيدخل منطقة ظل الأرض، وأحيانًا تانية بيكون خسوف كلي.. وده لما القمر كله بيدخل منطقة ظل الأرض.. ساعتها بيقولوا عليه "قمر الدم"، لأن لونه بيكون أحمر لدرجة أشبه بلون الدم..

تبدلت ملامح الاستغراب على وجه الفتاة إلى ملامح إعجاب بالتدريج أثناء حديثه، تقدم الأخير ليجلس في مقابلتها بينما أضاف:

- ظهرت أساطير وخرافات كتير عن الظاهرة دي على مستوى العالم.. العرب والصينيين كانو بيقولوا أن فيه وحوش مفترسة بتهاجم القمر.. في بلاد الرافدين كانوا بيربطوه بنهاية حكم الملك.. وفي أفريقيا كانو بيعتبروه غضب إلهي.. أما الهنود الحمر فكانو بيقولوا إن القمر عنده ٢٠ زوجة وحيوانات أليفة كتير.. ولما مش بيوفرلهم الأكل بيهاجموه.. فبينزف، ويبقى لونه أحمر بالشكل ده..

وابتسم بسخرية وأضاف:

- تصوري؟

بادلته (شهد) البسمة فيما قالت:

- وانت؟

ارتسمت على وجهه علامات التعجب وقال:

- أنا إيه؟

- عندك وجهة نظر في الموضوع؟

عادت البسمة إلى وجهه وأجاب:

- أنا وجهة نظري إنه مشهد جميل يستحق إننا نشوفه كل ما تيجي الفرصة.. عشان كدة عايزك تكوني معايا.

تعجبت الفتاة قائلة:

- أكون معاك فين؟

ترك مقعده متوجهًا إلى باب المنزل بينما أجاب:

- بعد ١٠ أيام من دلوقتي هتحصل ظاهرة قمر الدم، يومها هتفضي نفسك طول النهار، وهتيجي معايا مكان بعيد عن الزحمة ودوشة البلد عشان نحضر الظاهرة دي مع بعض.

أوقفته من أمام الباب بقولها:

- أيوة بس..

التفت إليها قائلاً: - بس إيه؟.. خايفة تيجي معايا لوحدك؟

ارتسمت ملامح الهم على وجهها فيما أجابت:

- مش بالظبط.. أنا بس ماينفعش أسيب أخويا في البيت لوحده مدة طويلة.

بابتسامة ولهجة ثقة قال:

- مافيش أي مشكلة.. هاتيه معاكي.

صمتت الفتاة عاجزة عن مقابلة طلبه بالرفض فأضاف:

- أنا همشي دلوقتي عشان أسيبك تجهزي، وهنتقابل تاني بليل.. سلام.

* * *

الفصل الخامس

الجمعة ١٠ يناير ٢٠٢٠م
الساعة الثانية والنصف مساءً.

يقف شاردًا أمام النافذة، يتذكر بعض اللقطات التي قد مر عليها ما يقرب من عشرين عامًا، فينتهك عقله ندمًا باللون الأحمر دون أن يدع له فرصة حتى يلحظ الرماد الذي يتراكم فوق لفافة التبغ التي يدخنها، أو أن يسمع صوت زوجته التي تناديه من الخلف منذ لحظات..

أفاق من شروده على يد ناعمة تلامس كتفه الأيمن ومعها صوت زوجته وهي تنادي:

- هشام..

استدار لينظر إليها، وبلهجة تعجب سألته:

- روحت فين؟

قام برسم الابتسامة على وجهه فيما أجاب:

- مفيش.. كنت سرحان شوية بس.

- طب مش هتروح تجهز؟.. الولد زمانه على وصول.

عاد إلى الأخير صوابه وتذكر أنه قد دعا أحدهم إلى الغداء البارحة، فأومأ برأسه مبتسمًا ثم ألقى بلفافة التبغ من النافذة وتوجه إلى غرفة النوم حتى يبدل ملابسه، فيما ذهبت زوجته لتكمل تجهيز مائدة الطعام.

* * *

لم يسبق أن دعا (هشام) أحد تلامذته إلى المنزل من قبل، ولكن فضوله وإعجابه بهذا الشاب قد دفعاه لتلك الدعوة الاستثنائية، كما أنه قد تعاطف معه كثيرًا عقب أن سمع حكايته، فقد رأى فيها ماضيه، تذكر الخيارات المصيرية التي كانت تضعه الحياة بينها في تلك المرحلة، وتذكر أنه لم يجد من يساعده على الاختيار في ذلك الحين، فصارت تتملكه رغبة في تبني الشاب ومساعدته على الاختيار الصائب عن دون وعي، تمامًا كالابن الذي لم يرزق به من الله..

دق جرس باب المنزل فأسرع لكي يستقبل الضيف الذي يصغره في العمر بأكثر من ٢٠ عامًا، والذي على الرغم من ذلك كان يملك فكرة جيدة عن المجاملات.. فقد تقدم إلى المنزل مرتديًا ثيابه المنمقة، وفي يده باقة كبيرة من الورد، وكأنه يعرف أن الانطباع الجيد الذي تركه عند رب البيت قبل بضعة أيام ليس بكافٍ،

وأنه يجب عليه أن يترك نفس الانطباع عند الأنثى الجميلة التي تملك جهاز التحكم بالنصف الآخر من عقل أستاذه الأربعيني..

لحظات قليلة وكان يجلس (حازم) إلى مائدة الطعام بجوار أستاذه، فيما تقوم سيدة المنزل بوضع الطعام على الطاولة، لاحظ (هشام) أن ابنته لم تحضر للطاولة فسأل زوجته:

- أومال سلمى فين؟

أجابت وهي تضع آخر الصحون على الطاولة:

- تلاقيها نايمة كالعادة.

- طب خشي صحيها تتغدى معانا.

ذهبت (شيرين) لكي تحضر ابنتها، فيما نظر (هشام) إلى ضيفه وبابتسامة ودّ قال:

- على فكرة سلمى بنتي من الصم والبكم.. والموضوع ده خلاها منطوية وبتتكسف من التعامل مع أي حد غيرنا.. فماتستغربش لو لقيتها مكشرة أو هادية أكتر من اللازم.

لم تكن من عادة (هشام) أن يثق بأحدهم بما يكفي حتى يدع له مجالاً للتعامل مع ابنته، ولكنه لم يكن خائفًا من احتكاكها بـ(حازم) بسبب فارق العمر -الذي قد يصل إلى ٩ سنوات- بينهما على الأقل، والأهم من ذلك هو الصعوبة التي سوف تواجه الشاب إذا حاول التواصل مع ابنته،

لذا فلم يجد ما يمنع أن تجلس الفتاة معه -وفي حضور والديها- لبعض الوقت.

عادت (شيرين) وبرفقتها فتاة تبدو في سن المراهقة، قمحية البشرة ذات ملامح شرقية أخّاذة، وشعر أسود يكاد أن يصل إلى خصرها، تختبئ مفاتنها أسفل فستان طويل وواسع من الطراز القديم، ولا تبدو عليها أي أمارات توحي بانتمائها لفتيات العصر.

جلست الفتاة في مقابلة (حازم) وجلست والدتها في مقابلة (هشام)، مضت بضعة دقائق وهم يتناولون الطعام، إلى أن سمع الأربعيني ضحكة خافتة تصدر من فتاته المنطوية، فرفع رأسه عن الصحن ليتفاجأ بضيفه الصغير وهو يتواصل معها بلغة الإشارة، حينها رمقه بأعين الاستغراب وبنصف ابتسامة قال:

- إيه ده يا حازم؟.. أنت بتعرف لغة الإشارة؟

نظر إليه (حازم) فيما أجاب مبتسمًا:

- آه.. أصل جدتي اللي كنت عايش معاها كان عندها نفس الموضوع.. فاضطريت أتعلم لغة الإشارة عشان أقدر أتواصل معاها.

أومأ الأخير برأسه فيما تلاشت البسمة عن وجهه بالتدريج، حيث إن الخوف قد تملك من قلبه تمامًا في ذلك الحين.. فبعد أن كان متعاطفًا مع حالة الشاب، أصبح على أتم استعداد أن يتوقف عن الطعام ويقوم بطرده.. ليس من المنزل فقط،

بل من المنزل والفريق، ومن العالم كله إن استطاع.. أما على الجانب الآخر، فقد فرحت زوجته بأن الحياة قد أوجدت لابنتها صديقًا يمكنها التواصل معه، يمدّها وجوده بقدر من الشجاعة لكي تخرج من بين جدران المنزل وتواجه العالم الخارجي، ويساعدها على التصالح مع علّتها والعيش كأي فتاة في ذات عمرها..

ظل (هشام) صامتًا بينما يتعامل بجمود مع ضيفه إلى أن غادر المنزل، كان عقله منشغلا بالتنقل بين الأضرار النفسية المفزعة التي قد تحل على فتاته في حال انجذابها لهذا الشاب، وعندما جاء الليل، لاحظت زوجته أنه لم يتمكن من النوم، كما أنها قد لاحظت شروده منذ اللحظة التي ضحكت بها الفتاة لضيفهم، وكانت تعلم جيدًا السبب في ذلك.. لذا فقد حاولت أن تطمئنه -بينما توليه ظهرها في الفراش- ودون أي مقدمات قالت:

- متخافش يا هشام.. مش معنى انه هزر معاها شوية يبقى عايز منها حاجة، وحتى لو.. حازم شكله ولد كويس ومحترم، وافتكر أنت كنت شايفه ازاي لحد من كام ساعة.

عادةً لا تؤثر كلمات (شيرين) في قناعات زوجها العنيد كثيرًا، ولكنها في تلك المرة قد تمكنت من إخماد حريق هائل كان يدور برأسه، فقد كان (هشام) على قناعة تامة بأن الشاب يختلف عن قرناء جيله -المستهترين- كليًا،

وأن الحياة لن تهدي ابنته فرصة للحصول على رفيق كهذا مرتين، ولكنه كان ينتظر أحدهم أن يطمئنه بتلك الكلمات ويشجعه على قبول الوضع دون خوف..

* * *

في صباح اليوم التالي حدث ما كان يتوقعه (هشام) تفصيلا.. فقد أوقفه (حازم) بينما يمضي من سيارته إلى بناية "دار الأوبرا" وألقى عليه التحية، ثم طلب منه بشكل مباشر أن يتقابل مع (سلمى) من جديد، حتى وإن حدث ذلك بين جدران المنزل وفي حضوره وحضور والدتها.. عندها لم يعطِه (هشام) أي إجابة، بينما أكمل طريقه إلى البناية حتى يبدأ نهارًا جديدًا من استعدادات الحفل، ولكن عندما انتهت (البروفا) وبدأ أعضاء الفريق بالمغادرة أمره أن ينتظر، تأكد أن الجميع قد غادر المكان ولم يبقَ على خشبة المسرح سواهما، ثم أولاه ظهره ودون أي مقدمات قال:

- اسمع يا حازم.. لو عايز تقرب من سلمى أنا ماعنديش مانع.. لكن خلي بالك.. سلمى دي الحاجة اللي أنا طلعت بيها من الدنيا.. ولو فكرت مجرد تفكير إنك توجعها أنا مش بس همشيك من الفرقة.. أنا همشيك من الدنيا كلها.

* * *

الفصل السادس

الأحد ١٦ يوليو ٢٠٠٠م
الساعة الثامنة صباحًا.

عادة ما تستيقظ (شهد) في ذلك الوقت من اليوم حتى تستعد لتوصيل أخيها الصغير إلى حضانة الأطفال ثم تتوجه إلى عملها مباشرة، ولكن الأمر مختلف اليوم.. فاليوم هو الموعد الذي حدده (هشام) لكي يصطحبها لمشاهدة تلك الظاهرة الغريبة -التي تدعى "قمر الدم"- سويًا، لذا فقد اعتذرت لمديرها في العمل عن الحضور بحجة المرض ضمن مكالمة قد أجرتها معه ليلة البارحة، ثم استيقظت اليوم باكرًا حتى تستعد برفقة شقيقها إلى رحلة طريق لا يعلمان لأين غايتها..

جاءتها مكالمة هاتفية من (هشام) تفيد وصوله عند المنزل، فوقفت تتفحص مظهرها سريعًا أمام المرآة بينما نادت على شقيقها لكي تأخذ بيده ويغادران، وما إن خرجت من بوابة البناية -التي يسكنانها- حتى وجدته في انتظارهما.. ذلك العازف الوسيم الذي قد أعاد وجوده الحياة لقلبها في ظرف أيام معدودة،

والذي كان ينتظر في سيارة فارهة من ذوات السقف المفتوح مرتديًا قميصًا صيفيًا أبيض ونظارة سوداء للشمس، فألقت عليه تحية الصباح مبتسمة ثم جلست إلى المقعد الذي يجاوره عقب أن ساعدت أخاها على الجلوس وحده بالخلف..

لم يكن عقل الصبي مُلِمًا بما يحدث من حوله بالكامل في ذلك الحين، حيث لم يكن يعلم سوى أنه وشقيقته سوف يذهبان في رحلة مع أحد الرجال الغرباء، رحلة سوف تريحه لنهار كامل من التواجد في حضانة الأطفال التي يكرهها، فكان يجلس صامتًا مطيعًا على الرغم من جهله بما يحدث..

مضت قرابة نصف الساعة وهم يتحدثون بين الحين والآخر عبر الطريق، حتى لاحظت (شهد) أنهم قد خرجوا من العاصمة إلى طريق صحراوي، فسألت (هشام):

- هو أنت مودينا على فين؟

أجاب دون أن يبعد نظره عن الطريق قائلاً:

- هنروح اسكندرية.

ارتسمت تعابير المفاجأة على وجه الفتاة وبلهجة انفعال قالت:

- اسكندرية؟!.. أنت مجنون؟!

التفت إليها الأخير قائلاً: - مالك بس متفاجأة ليه؟.. هو أنا مش قولتلك إننا هنروح مكان بعيد عن البلد؟

- ايوة أنا قولت قصدك أي مكان بعيد عن الزحمة وخلاص.. وبعدين اشمعنى اسكندرية يعني؟.. هو مش البتاع ده ينفع نشوفه من أي مكان؟

قالتها بانفعال بينما تلوح بيديها يمينًا ويسارًا، فبهدوء أعصاب أجاب:

- أولاً ماسموش البتاع ده.. ثانيًا الكابينة بتاعتي في المنتزة بيبقى المنظر منها أحلى ١٠٠ مرة من أي مكان تاني في البلد.. وبعدين اسكندرية كلها ساعتين رايح ساعتين جي.. كأنك بالظبط روحتي مشوار في ساعة زحمة في القاهرة.. قلقانة من إيه؟

نفخت الفتاة ضيقًا من صدرها فيما عادت بنظرها إلى الطريق وقالت:

- خليني وراك للآخر.. لما نشوف.

* * *

مرّ ما يقرب من الساعة والنصف منذ أن خرجوا بالسيارة من العاصمة إلى طريق القاهرة - الإسكندرية الصحراوي، كان البالغان يتحدثان قليلا كلما طال الصمت بينهما عبر الطريق، وكان الصبي ملتزمًا الهدوء فيما يتأمل المرور السريع لمعالم الطريق من أمام عينه طوال ذلك الوقت.. ولكنه قد ملّ الجلوس هكذا بالخلف، فبدأ يعبث بما حوله من أثاثات السيارة ويصدر القليل من الضجة،

حينها التفتت له شقيقته حتى توقفه وبلهجة انفعال قالت:

- ممكن لو سمحت تقعد هادي؟!

توقف الصبي عما كان يفعله، فيما ارتسمت البسمة على وجه (هشام) وقال:

- خليه براحته.. مفيش حاجة مهمة ورا.

انتقلت الفتاة بعينها إلى الأخير وقالت:

- هو احنا قدامنا قد إيه ونوصل؟

أجاب دون أن يبعد نظره عن الطريق قائلاً:

- مش كتير.. فاضل حوالي ٥٠ كيلو بس..

أشارت بيدها إلى جهاز الراديو الخاص بالسيارة قائلة:

- طب ما تشغلنا الراديو يسلينا شوية لحد ما نوصل.

- بس كدة؟

قالها الأخير مبتسمًا قبل أن يلبي طلبها ويقوم بتشغيل جهاز الراديو، عندها تدخّل صوت المطربة الجزائرية (وردة) في المشهد وهي تغني:

* * *

في يوم وليلة..
يوم وليلة..
دوقنا حلاوة الحب.. كله..
في يوم وليلة..
انا وحبيبي..
انا وحبيبي..
دوقنا حلاوة الحب.. كله..
في يوم وليلة..

* * *

نجحت كلمات (وردة) في أن تزيل كل معالم الملل والإرهاق عن المشهد، وتبدلها بالكثير من معالم الحب والسعادة في غضون لحظات.. فقد نظرت الفتاة بابتسامة حب إلى قائد رحلتها حين بدأت المطربة بغناء أولى الكلمات، فالتفت إليها الأخير ليقابلها بذات البسمة دون أن يبالي لخطورة الطريق.. وبنهاية المقطع الأول، كانت الفتاة نائمة على كتف حبيبها الأيمن في سعادة وأمان لم تشعر بمثيل لهما منذ سنوات، تتطاير خصلات شعرها الناعم على وجهه لتداعبه برقة، فيعطيها قبلة فوق جبينها ويضمها إليه بمزيد من الدفء والحنان..

لا شك أن الصبي كان يلاحظ ما يدور أمامه منذ بداية الأغنية، ولكنه لم يبدِ أي ردة فعل على كل حال.. فبغض النظر عن كونه طفلا لم يكتسِ عقله برداء الأعراف الشرقية بعد، ولكنه قد سمع من قائد الرحلة أنهم ذاهبون إلى الإسكندرية، حيث يصبح بإمكانه أن يبني قلاعه الخيالية أمام البحر باستخدام بعض الرمال.. فكان ذلك يستحق منه بعض الهدوء والطاعة على مدار الطريق.

* * *

لم يخطئ (هشام) حين قال إن الرحلة إلى الاسكندرية لن تتخطى مدتها أي رحلة طريق عادية في زحام العاصمة، فلم يتسغرق الأمر أكثر من ساعتين حتى وصلوا إلى بوابات الإسكندرية بالفعل.. وعلى الرغم من أن الطريق إلى (المنتزة) لا يزال طويلاً، إلا أن الأمر قد صار أهون بكثير عقب أن وصلوا إلى أراضي المدينة الساحلية، فإن الطريق يا عزيزي لا يصبح مملا حين يكون في الإسكندرية.. حيث المباني القديمة التي قام بتصميمها أباطرة المعمار الأجانب، الهواء النقي الذي تفتقده حياة العاصمة، والبحر الذي لا يفشل في تجديد حبك للحياة في كل مرة تلتقيه.. كلها أسباب قد جعلت الوقت يمضي دون أن يشعر به الرفاق، وعندما دقت الحادية عشرة والنصف ظهراً،

كانوا قد وصلوا إلى حيث اعتاد أن يحضر (هشام) تلك ظاهرة الكونية -التي يتلوّن بها القمر بلون الدم- في كل فرصة، فترجل الجميع من السيارة بينما قال الأخير:

- حمد الله عالسلامة.

ثم ذهب ليتفقد بعض الأشياء التي قام بشرائها ووضعها في الحقيبة الخلفية للسيارة.. وما كاد يتناول أحد الأكياس السوداء من الحقيبة حتى تفاجأ بالفتاة واقفة بجواره وتتساءل:

- ايه ده؟

التفت إليها وبنبرة تحمل بعض التوتر أجاب:

- دي.. دي شوية حاجات جبتها لزوم القعدة.

أمعنت الفتاة النظر إلى محتوى الكيس، فارتسمت على وجهها تعابير المفاجأة، وبلهجة انفعال قالت:

- دي خمرة؟!.. أنت جايب خمرة واحنا معانا ولد صغير؟!

امتعض وجه الأخير بينما انفعل بعض الشيء في قوله:

- وهو هيعرف منين إنها خمرة بس!

تنفست (شهد) الصعداء فيما ربعت ذراعيها ووضعت بصرها بالأرض ضيقًا، فبنبرة أكثر هدوءًا أضاف:

- روقي يا شهد.. إحنا جايين نتبسط.

كان شعور الذنب يتملك الفتاة منذ أن قبلت الذهاب في رحلة مع رجل لا تعلم عنه الكثير، ثم تزايد الشعور حين علمت منه أن الرحلة لا تكمن بمحيط العاصمة وحسب، وإنما هي رحلة سفر حقيقية للإسكندرية.. فكانت على وشك الانفجار حين علمت بأنه قد أحضر معه تلك النوعية من (لوازم القعدة).. تتساءل بينها وبين نفسها: "أين أنا؟".. "ما الذي قد جاء بي إلى هنا؟".. "من هذا الذي قد جئت معه؟".. و"يا ترى.. هل كان والدي ليسامحني إن فعلت ذلك على حياة عينه؟".. ثم تتناسى كل تلك الأسئلة، وتنادي على شقيقها حتى يتبعان الأخير إلى الداخل.

* * *

لم تمضِ سوى بضع دقائق حتى وصلوا إلى واحدة من الكبائن القديمة التي تطل على شاطئ البحر بمدينة (المنتزة)، والذي يعرف باسم شاطئ (عايدة)، وعلى الرغم من أن الشاطئ كان به عدد كبير من الزوار، إلا أن صفوف الكبائن لم تكن مزدحمة على الإطلاق.. فإن الكبائن ليست للاستئجار، ولم يكن متواجدًا من مالكيها سوى أسرة واحدة تسكن على بعد مسافة كبيرة من الرفاق..

قام (هشام) بفتح بوابة الكابينة ليدخلها ضوء الشمس ويكشف عن أركانها، ولكنه في الواقع لم يكشف عن الكثير..

فإن الأثاث كان أغلبه مغطى بملاءات بيضاء لتحفظه من الأتربة، فلم يكشف الضوء سوى عن سعة الغرفة الخارجية، والتي كانت تقدر بأقل من سعة غرف المعيشة العادية بقليل، تقدم (هشام) ليزيل الملاءات عن قطع الأثاث اللازمة لليوم، مثل أريكة خشبية تغطيها وسائد من القطن، وطاولة صغيرة للطعام، وبعض المقاعد البلاستيكية التي تحوطها، ثم قام بنقل مقعدين إلى الخارج ليتقابل مع فاتنته التي كانت تقف مربعة الأذرع بينما يعبث شقيقها حول المكان..

- آدينا يا سيدي وصلنا كابينة المنتزة.. فين بقى قمر الدم بتاعك ده؟

قالتها (شهد)، فبلهجة مزاح أجاب:

- وهو كان حد قالك أنى مخبيه في الكابينة؟

- لا بجد.. هيطلع امتى البتاع ده؟

جلس إلى أحد المقاعد قائلا:

- قولتلك ماسموش البتاع ده.

نفخت الفتاة ضيقًا من صدرها، ثم بنبرة تحمل من العصبية ما تحمله من مرح قالت:

- أنا آسفة.. هيطلع امتى سي قمر الدم بتاعك؟!

نظر إلى ساعته ثم أجاب:

- كمان ساعتين تقريبًا.

امتعض وجه الفتاة وبنبرة ضيق قالت:

- يا سلام.. ولحد وقتها هنعمل إيه إن شاء الله؟!

بهدوء أعصاب وبينما يشير بذراعيه إلى البحر أجاب:

- هنقعد يا شهد.. مش شايفة المنظر قدامك حلو ازاي؟!

نفخت الفتاة ضيقًا من جديد بينما وضعت بصرها بالأرض استسلامًا، فتناول الأخير زجاجة جعة من الكيس الأسود الذي يجاوره على الأرض ثم مد يده بها للفتاة قائلا:

- اقعدي بس اشربي الإزازة دي قدام البحر كدة وانتي هتعرفي أن معايا حق.

على الرغم من مقدار الغضب الذي كان قد وصل بداخل الفتاة إلى أقصاه، إلا أن المسكينة قد استسلمت لكلمات الأخير تلك المرة دون أي تذمر، فلم تجد أمامها ما يمكن فعله سوى أن تسمع لنصيحته، فتجلس بجواره لتحتسي الجعة أمام البحر حتى يظهر المدعو "قمر الدم" وينتهي ذلك اليوم اللعين وحسب.. ولكن الأمر قد بدأ يتغير بداخلها مع مرور الوقت، فقد اجتمع تأثير الكحول مع صوت أمواج البحر وهوائه النقي حتى يهدّئا من روعها، وبعد مرور ساعتين، كانت قد تبدلت ملامح الضيق والملل على وجهها بملامح سعادة واستمتاع، فنظرت إلى الأخير وبنصف ابتسامة قالت:

- بس تصدق معاك حق؟.. القعدة هنا تحفة فعلاً.

- مش قولتلك؟..

بلهجة ثقة قالها ثم نظر إلى ساعته وأضاف:

- ركزي بقى عشان القمر قدامه ٥ دقايق ويظهر.

أومأت الفتاة برأسها مصدقة، ثم راحت تنظر حولها بحثًا عن شقيقها -الذي كان يعبث حولهما منذ قليل- وقالت:

- ماشوفتش أخويا راح فين؟

بهدوء أعصاب اجابها:

- تلاقيه بيلعب هنا ولا هنا.

ارتسمت على وجهها تعابير القلق وقالت:

- لا والنبي يا هشام لحسن يتوه ولا يجراله حاجة.. أنا هقوم أدور عليه.

وما إن قامت للبحث عن أخيها حتى انتفض الأخير ليمسك بمعصمها وقال:

- استني بس انتي رايحة فين؟!.. بقولك القمر قدامه دقايق ويظهر!

- ما يتحرق القمر وسنينه!.. أنا رايحة أدوّر على أخويا!

بلهجة انفعال قالتها ثم أفلتت معصمها من قبضته، ومشت لبضع خطوات باتجاه الشاطئ حتى تبحث عن الصبي، ولكن الأخير لم يعطِها الفرصة لذلك.. فإن الكحول -الذي شربه على مدار الساعتين الأخيرتين- كان قد سيطر على عقله بالكامل، ف

ترك مقعده ولحق بالفتاة على الفور، ثم أمسك بذراعها وأخذ يشدها بعنف للعودة إلى الكابينة بينما يردد:

- تعالي بس رايحة فين.. تعالي بس هقولك..

أخذت المسكينة تحاول الإفلات من قبضته بينما تصرخ فيه قائلة:

- ابعد عني يا هشام.. يا هشام بقولك ابعد عني!

ولكنه كان يتفوق عليها في القوة بطبيعة الحال.. فتمكن من أن يقحمها إلى الكابينة بالإكراه، ثم قام بدفعها بعنف حتى تسقط على الأرض.. تأكد من إحكام غلق الباب ثم قام بوضع أثقل ما يوجد من قطع الأثاث أمامه حتى يصعب على أي شخص أن ينقذ فريسته من بين يديه، ثم راح يتهجم على مفاتنها بشراسة حيوان بريّ قد حُرِم من الطعام لسنوات وسنوات..

أخذت المسكينة تصرخ وتستغيث على أمل أن ينقذها أحدهم من بين يديه.. ولكن أقرب زوار الشاطئ كان يبعد عنهما بعشرات الأمتار، كما أن صوت أمواج البحر وضجيج الزوار كان يغطي على صوتها تمامًا، فلم يسمع استغاثتها سوى الطفل الصغير الذي لم يكن على بعد مسافة كبيرة كما تخيلت.. حيث كان يبني قلاعه الوهمية بالرمال على بعد أمتار قليلة فقط، فعندما سمع صراخ شقيقته ذهب مسرعًا لكي يتفقد أمرها، ولكنه قد وجد الباب مغلقًا.. أخذ يصرخ ويبكي بينما يحاول أن يدفع الباب بذراعيه الضعيفتين،

فلم يستطع حتى أن يحركه.. وعندما فقد الأمل، جلس يبكي -بغير حيلة- على الأرض، فيما يولي ظهره إلى الباب اللعين، بدأت الأصوات جميعها تتلاشى من أذنه مع غياب أشعة الشمس عن المشهد بالتدريج، وما كاد يرفع عينه حتى وجد السماء وهي تتلون باللون الأحمر الدامي، وكأن غضبًا إلهيًا قد حل على الكون فجأة، أو أن وحشًا مفترسًا قد هاجم القمر حتى نزف بالدماء..

خرجت (شهد) من الكابينة بثياب مقطعة والكحل يسيل من عينيها -من شدة البكاء - لتأخذ بيد شقيقها الصغير ويغادران، ولكن الصبي لم يعد منتبهًا لها من الأساس.. فقد كانت عيناه شاردتين في تلك الظاهرة الكونية التي تحدث أمامه للمرة الأولى، والتي ميزت مشاعر الألم والكراهية عنده باللون الأحمر للأبد.

* * *

مضت ثلاثة أشهر منذ وقوع تلك الحادثة، ثلاثة أشهر قد حاول فيهم (هشام) أن يتواصل مع (شهد) بشتى الطرق للتعبير عن ندمه وإبداء استعداده لتصحيح خطئه والزواج منها.. اتصل بها مرارًا وتكرارًا، طرق باب منزلها عدة مرات، سأل عنها أصدقاءها بالحانة، ولكن هذا كله لم يأتِ بفائدة.. وفي صباح يومٍ عاديٍ قام بشراء الصحف،

فوجد بصفحة الحوادث خبرًا ينص على انتحار فتاة عشرينية يتيمة الأبوين.. وتدعى (شهد).

❊ ❊ ❊

الفصل السابع

الجمعة ١٧ يناير ٢٠٢٠م
الساعة العاشرة صباحًا.

قليلاً ما يستيقظ (هشام) مبكرًا في أيام العطلة، ولكن شعوره الأبوي بالقلق على ابنته قد أيقظه اليوم منذ أن شرعت الشمس بالشروق، فإن (سلمى) سوف تخرج اليوم لأول مرة في موعد غرامي، بل من المحتمل أنها سوف تخرج لأول مرة برفقة شخص لا ينتمي للأسرة.. ربما هو أمر لا يتقبله أغلبية الآباء في المجتمعات الشرقية، ولكن الأخير قد احترم شجاعة (حازم) في طلب الأمر منه بشكل مباشر، واحترم أنه لا زال يستأذنه في تلك الأمور عقب أن تقابل مع الفتاة -بمنزلها- لأكثر من مرة على مدار الأيام الماضية، فكان يقدر أن يتعدى حدوده ويأخذ الفتاة في ذلك الموعد الغرامي بمعرفة والدتها -التي تراه كطوق النجاة لابنتها- وحسب، فضلا عن أن (هشام) كان فنانًا من ذوي العقليات المتفتحة، فعلى الرغم من قلقه الدائم على ابنته لكونها مختلفة عن سائر فتيات المجتمع، إلا أنه لم يكن يأبه للعادات والتقاليد الشرقية كثيرًا..

دق جرس باب المنزل بينما يجلس الأربعيني ليتناول وجبة الفطور مع ابنته، ارتسمت ملامح البهجة على وجه الفتاة، وما كادت تقوم لتفتح الباب حتى أشار إليها الأخير بالجلوس وذهب لكي يفتح الباب بنفسه، كان يعلم أن من يطرق الباب هو (حازم).. فقد اتفق كلاهما على أن يأتي الشاب ليصطحب فتاته في جولة حول أنحاء المنزل قبل صلاة الجمعة وبداية خروج الناس، حتى يخفف من توترها بأكبر قدر ممكن، حيث مرت الفتاة بأكثر من موقف حرج حين حاولت الاحتكاك بالمجتمع فيما قبل، فصارت تهاب فكرة الخروج -في ساعات الحركة- والتعامل مع الغرباء..

- صباح الخير يا مايسترو.

قالها (حازم) مبتسمًا حين تقابل مع أستاذه عند الباب، فبادله الأخير البسمة وبنبرة ود قال:

- أهلاً يا حازم.. صباح النور.

- يا ترى سلمي جهزت ولا لسه؟

- آه يا سيدي جهزت.. دقيقة واحدة بس تخلص فطارها وهتش أناديهالك على طول..

أومأ الشاب برأسه مصدقًا فيما اقترب منه الأخير بعض الشيء وبنبرة تحذير أضاف:

- مش هوصيك عليها يا حازم.. سلمى مبتعرفش تتواصل مع الناس، ياريت متبعدوش عن البيت كتير ولا تخليها تتعامل مع حد غيرك.

أجابه الأخير مطمئنًا:

- متقلقش خالص يا مايسترو.. أنا هاخدها ونقعد شوية في كافيه قريب من هنا، مش هسيب فرصة لأي حد انه يتعامل معاها، واوعدك أن في خلال ساعة ونص بالكتير هتكون عند حضرتك في البيت.

أومأ الأربعيني برأسه مصدقًا، فيما جاءت الفتاة من خلفه مبتهجة، فأعاد رسم البسمة على وجهه وقال:

- أهي يا سيدي جت من نفسها.. يلا هستناكم، متتأخروش.

* * *

على الرغم من الصعوبة التي دائمًا ما كانت تواجه (هشام) وزوجته في فهم مشاعر ابنتهما، إلا أن تعلقها الشديد بـ(حازم) كان واضحًا وضوح الشمس على وجهها منذ اللحظة الأولى.. فلم تكن المسكينة تتمنى من الدنيا أكثر من شاب كهذا.. شاب يحبها ويتقبلها دون تفضل، له مظهر جذاب ووسيم.. ويستطيع التواصل معها دون معاناة.. فلم تتردد للحظة حتى تُظهِر له تعلقها وتسلمه جهاز التحكم بمشاعرها دون حساب..

توجه (هشام) إلى المطبخ حتى يقوم بتحضير فنجان من القهوة عقب أن غادرت ابنته مع حبيبها، وبينما كان يقف منتظراً حتى تصل القهوة للغليان، سمع صوتًا أنثويًا من خلفه يقول:

- إيه اللي مصحيك بدري كدة؟

التفت الأخير تلقائيًا ليجدها زوجته فعاد بنظره إلى (كنكة) القهوة فيما أجاب:

- يعني.. قولت مش منظر إن الولد ييجي ياخد سلمى فيلاقينا نايمين.

بنبرة خمول وبينما تخرج طعامًا للفطور من الثلاجة سألته:

- وهو جه ولا لسه؟

- جه يا ستي واخدها من ييجي ١٠ دقايق.

لاحظت (شيرين) نبرة الضيق التي تغلب على صوت زوجها فقالت:

- طب مالك متضايق من ايه؟

تنفس الأخير الصعداء ثم قال:

- انتي مرتاحة للموضوع بتاع حازم ده؟

بلهجة تذمر وبينما تحضّر طعام فطورها أجابت:

- يووه بقى يا هشام.. هو احنا اللي هنعيده هنزيده؟..

ما الولد محترم ودغري وقدام عينك طول الاسبوع..

وبعدين البنت نفسيتها اتغيرت ١٨٠ درجة من ساعة ما بدأ يزورنا في البيت..

يبقى ايه المانع اننا نسيبهم يقضوا وقت مع بعض شوية ونشوف اللي هيحصل؟..

مش يمكن ربنا يبقى كاتبلهم الخير مع بعض قدام؟

نفخ الأخير ضيقًا من صدره وقال: - لما نشوف.

* * *

لم يكذب (حازم) حين أكد لأستاذه أأنه سوف يعيد الفتاة إلى منزلها في غضون ساعة ونصف على الأكثر، فقد عادت الفتاة بعد مرور ساعة واحدة -برفقة حبيبها- وعلى وجهها ملامح سعادة لا توصف، وكانت تلك هي اللحظة التي تضاعف بها شعور الطمأنينة بداخل المايسترو تجاه عازفه الشاب، فأخذه وذهبا لأداء صلاة الجمعة بالمسجد جماعة، ثم عاد كل منهما إلى منزله على أن يتقابلا في اليوم التالي ضمن تحضيرات الحفل، الحفل الذي لم يبقَ على موعده سوى ٤ أيام بالمناسبة.. والذي سوف يحضره الكثير من كبار المسئولين ونجوم المجتمع، فربما سوف يصبح الأكبر في مسيرة (هشام) الفنية كلها.

* * *

لم تكمل عقارب الساعة دورة كاملة حتى التقى (هشام) و(حازم) مجددًا بالفعل.. فعندما دقت الثانية عشرة ظهرًا من اليوم التالي كان قد وصل المايسترو وجميع عازفي الأوركسترا الشباب إلى المسرح - الذي يقبع بـ"دار الأوبرا المصرية"- لأداء (البروفات)، جلس كل منهم إلى المقعد المخصص له على المسرح ومعه الآلة التي يعزفها، بينما وقف المايسترو في مقابلتهم وأمامه (النوتة) التي تحمل سيمفونية الحفل، وفي يده تلك العصا الصغيرة التي يستخدمها لتوزيع الأدوار عليهم أثناء العزف والتحكم بسرعة الإيقاع، أعطاهم إشارة البدء فراحت آلات الناي تعزف أولى الأنغام، ثم بإشارة ثانية تتداخل معها أصوات آلات الكمان والتشيلو لتطغى عليها بالتدريج.. ثم بإشارة ثالثة تهدأ أصوات ثلاثتهم ليحل محلها صوت آلات البوق.. وبإشارة رابعة تتلاحم جميع الأصوات مع بعضها في آن واحد وبإيقاع جنوني لتخلق معزوفة ترتعش لها الأبدان..

لا عجب أن (هشام) كان يملك بداخله قدرًا كبيرًا من الغرور وحب الذات، فإن تلك المهنة تغذي مشاعر القوة والتحكم داخل المرء بشكل مستمر، توهمك بأنك ساحر يملك بعصاه قدرة على خلق المعجزات، حتى وإن كنت في الواقع تتبع سيمفونية قد ألّفها موسيقار آخر.

* * *

بعد مرور ساعة ونصف من (البروفات) أعطى (هشام) الإذن لعازفيه بأخذ قسط من الراحة خارج قاعة المسرح، ولكنه قد استثنى من ذلك الأمر (هند) لكي يتحدث معها في بعض الشئون التي تخص الفريق، فغادر الجميع القاعة فيما ظل الأربعيني واقفًا يتحدث مع تلميذته النجيبة على خشبة المسرح، وبينما كانا يتحدثان رن جرس هاتف (هند) الخلوي، فأخرجت الهاتف من جيبها وتطلعت إلى اسم المتصل ثم رفعت عينها للأخير وبنبرة حرج قالت:

- معلش يا مايسترو هستأذنك بس ارد على ماما.

أشار إليها الأخير بالرد قائلا:

- آه طبعًا اتفضلي.

ابتعدت الفتاة بضعة أمتار لكي تجيب المكالمة، فيما ذهب (هشام) يتجول بخُطا عشوائية على المسرح حتى تنهي الفتاة مكالمتها وتعود إليه، وبينما كان يمضي من أمام المقعد المخصص لـ(حازم) استوقف عينيه شيء غريب، إنها آلة التشيلو الخاصة بـ(حازم).. لا ينقصها وترٌ أو ما شابه، ولكنها لا تشبه باقي الآلات الحديثة التي تملأ المسرح.. حيث تبدو متهالكة وفي غاية القدم، وكأنها (أنتيكة) لا تنتمي إلى القرن الحادي والعشرين.. فكيف لشاب في مثل عمره أن يحمل آلة كهذه؟

دفعه الفضول أن يقترب بضع خطوات لكي يتفحصها، عندها وجد شيئًا جعله يسترجع تفاصيل مشهد قد مر عليه ما يقرب من عشرين عامًا، ثم يربط بينها وبين "صدفة" غريبة قد لاحظها منذ بضعة أيام فقط، فيتوصل لنتيجة تجعل ملامح الصدمة تجتاح وجهه بالكامل.. حيث إنه قد وجد بالآلة ذلك الخدش الذي قد حدث للآلة التي أهداها إلى حبيبته منذ عشرين عامًا..

* * *

الأربعاء ٥ يوليو ٢٠٠٠م

أخرجت (شهد) آلة التشيلو من حقيبتها، ثم أخذتها وجلست إلى أحد المقاعد وراحت تسترجع ما يمكنها استرجاعه من ألحان، لم يكن مستواها قويًا بما فيه الكفاية ليقارن بمستواه، ولكنها قد أبلت بلاءً حسنًا بالنسبة إليه، خاصة وبالنظر لأنها لم تعزف منذ عامين كاملين.. وما كادت تعيد آلة التشيلو إلى حقيبتها حتى تعثرت أقدامها في إحدى ألعاب شقيقها المتناثرة على الأرض، واختل توازنها فسقطت وسقطت معها الآلة أرضًا، أسرع الأخير ليساعد الفتاة على النهوض ثم بنبرة قلق سألها: - انتي كويسة؟!

- الحمد لله ماحصلش حاجة..

قالتها (شهد) بينما تبدو عليها بعض علامات الألم، ثم أشارت برأسها إلى آلة التشيلو وبنبرة قلق أضافت:

- شوف بس التشيلو لا يكون جراله حاجة.

- طيب ارتاحي انتي وأنا هشوفه.

ذهبت الفتاة لكي تريح جسدها إلى المقعد بينما قام الأخير برفع الآلة عن الأرض حتى يتفحصها من آثار الارتطام، فلحسن الحظ لم يجد أن الارتطام قد أحدث بها سوى خدش صغير من الجانب وحسب، سألته الفتاة قلقة:

- جراله حاجة؟

أجاب مطمئنًا:

- لأ الحمد لله جت سليمة.. خدش صغير بس.

* * *

علم (هشام) أن الشاب الذي أوصله إلى المنزل قبل أيام لم يكن مجرد جار لحبيبته القديمة -كما ظن حين وجد أنه يسكن في ذات الحي الذي كانت تسكنه- وحسب، وإنما هو شقيقها.. الطفل الهادئ الذي صاحبهما في اليوم الذي نزف به القمر منذ عشرين عامًا، والذي لم يظهر في حياته مؤخرًا عن طريق الصدفة بالطبع..

جاءت (هند) من خلفه -عقب أن أنهت مكالمتها- وقالت:

- معلش بقى يا مايسترو اصلها مكانتش هتبطل تتصل غير لما ارد عليها و..

لم يعطها الأخير فرصة حتى تكمل حديثها، فقد قاطع آخر كلماتها قائلاً: - هو انتي تعرفي حازم منين؟

ارتبكت الفتاة لوهلة، فيما ارتسمت على وجهها علامات تعجب من سؤاله ثم أجابت:

- أخته الكبيرة كانت صاحبة أختي زمان وتوفت، وكان هو يا عيني وقتها لسه صغير وباباه ومامته ميتين في حادثة قبلها بسنتين، فمن ساعتها واحنا بقينا بنعامله على إنه واحد مننا، وبقى بيلجأ لنا لما يحتاج أي حاجة.

أراد الأخير أن يتأكد من النتيجة التي توصل إليها فقال:

- ماتعرفيش أخته دي كان اسمها إيه؟

أخذت تحاول تذكر اسمها لوهلة ثم قالت:

- مش فاكرة والله يا مايسترو.. هي كانت صاحبة أختي الكبيرة بس أنا ماوعتش عليها.

على الرغم من كل المعطيات التي باتت تثبت أن (حازم) هو الأخ الأصغر لـ(شهد)، إلا أن (هشام) لم يكن متيقنًا من النتيجة التي توصل إليها باستنتاجه بعد..

أو بمعنى أدق، لم يكن يريد أن تأتي الحقيقة بتلك النتيجة المرعبة.. فكان يتمنى إجابة نافية من (هند) حين يسألها:

- طب هي ماتت منتحرة.. مش كدة؟

ولكنها قد صدقت على ما يدور برأسه قائلة:

- أيوة..

وكأنها قد فجرت في عقله قنبلة نووية من التساؤلات والأفكار المرعبة، فلماذا قرر (حازم) أن يظهر في حياته بعد كل تلك المدة؟.. ماذا يريد منه؟..

والأهم من هذا وذاك.. ما الذي يريده من ابنته المسكينة؟..

كلها أسئلة مخيفة قد خطرت في بال الأربعيني ما بين اللحظة التي أجابت بها الفتاة بالتصديق واللحظة التي ارتسمت على وجهها ملامح الاستغراب وأضافت:

- بس حازم عمره ما كان بيقول لحد على الموضوع ده.. حضرتك عرفت منين؟

لم يعرف الأخير كيف يجيبها، فتلجلج لسانه لوهلة ثم تعمد النظر إلى ساعته -حتى يهرب من الموقف- وقال:

- البريك خلص من ٥ دقايق.. روحي نادي زمايلك عشان نكمل البروڤات.

لم يجد (هشام) أي وسيلة لإراحة باله سوى أن يجلس مع (حازم) نفسه في جلسة مصارحة بأقرب فرصة ممكنة، فعندما عاد الأخير - برفقة زملائه- إلى المسرح لاستئناف (البروفات) توجه إليه أستاذه وبلهجة حادة قال:

- استناني بره بعد ما نخلص.. هنروح نشرب حاجة مع بعض في أي مكان.

* * *

يختلف العرض حين يعلم المايسترو بأن قصة أليمة قد جمعت بينه وبين أحد العازفين الذين يجلسون أمامه قبل عشرين عامًا، قصة قد لعب بها (المايسترو) دور الجاني بتمكن وامتياز، وكان عازفه طفلا لا يملك سوى تأدية دور الضحية بلا حول ولا قوة، ولكن الوضع قد انعكس الآن.. فصارت الضحية تملك قدرة على تدمير حياة الجاني والانتقام بأكثر من وسيلة، فتجلس في هدوء أمام أعينه لتلعب على أوتار مخاوفه باستمتاع ونهم، بينما لا يملك الأخير سوى أن ينتظر لبعض الوقت حتى يعرف ماهية الأمر، فينظر إلى عازفه -طيلة العرض- بأعين خائفة تقول: "أتنوى الانتقام لأختك بالفعل؟.. أم أنك قد تكتفي بما ناله قلبي من ندم، وترحل عن حياتي في سلام؟".

* * *

الفصل الثامن

السبت ١٨ يناير ٢٠٢٠م
الساعة الثانية مساءً.

لم تكن عقارب الساعة تمضي سريعًا على المايسترو منذ أن علم بحقيقة عازفه الشاب، فقد كان يترقب اللحظة التي سوف يواجهه بها بفارغ الصبر، وعلى الرغم من خوفه الشديد على ابنته وأن يفضح الأخير سرّه، إلا أنه لم يكن متعطشًا للهجوم والتهديد على الإطلاق، حيث كان مدركًا لحجم الخطأ الذي ارتكبه في حق ذلك الشاب منذ زمن، فكان ينوي التعبير عن ندمه وتقديم الاعتذار أولاً، لربما يصدقه الأخير ويرحل عن حياته في سلام..

حاول (هشام) الانتظار حتى تدق الساعة الثالثة مساءً وينتهي نهار الاستعدادات في موعده المعتاد، ولكن صبره قد نفد.. فقام بإعطاء إذن لشباب الأوركسترا بالمغادرة مبكرًا دون أن يبدي لهم أي تفسير، ثم غادر برفقتهم هو الآخر ليتقابل مع عازفه بالخارج ويذهبان إلى حيث يمكنهما الحديث عن بعض الأمور التي تخص الماضي..

* * *

لم يبدُ على (حازم) أنه قد عرف ما بالأمر منذ أن أمره أستاذه أن ينتظره بالخارج عقب انتهاء اليوم، فقد كانت ملامح الفضول والقلق واضحة على وجهه طيلة ذلك الوقت، وكان يستفهم من الأخير عما بالأمر بين الحين والآخر بينما يجلسان في السيارة، فيجيبه الأخير بأن ليس هنالك أي شيء، وأنه يريد قضاء بعض الوقت برفقة صديقه الصغير وحسب.. ثم بابتسامة ودّ يقول:

- ولا احنا مش صحاب؟

فيجيبه الفتى منهزمًا: - لا طبعًا.. صحاب.

* * *

لا شك أن (هشام) كان ينتظر مواجهة (حازم) بفارغ الصبر، ولكن هذا لم يمنعه من انتقاء المكان المناسب للأمر، فقد تجاهل عددًا من المقاهي التي مرت سيارته بجوارها حتى يذهب برفيقه إلى إحدى الحانات السياحية القديمة في (وسط البلد).. نعم، هي الحانة التي كان يعزف بها في بداياته، والتي تقابل بها مع حبيبته القديمة لأول مرة منذ ما يقرب من عشرين عامًا.. وكان هذا بالتحديد ما دفعه أن يتوقف عن زيارة المكان منذ زمن، حيث كان يتذكر الفتاة كلما زاره، بالإضافة لأنه قد تعهد أمام زوجته بالإقلاع عن شرب الكحول عندما رزقهما الله بـ(سلمى)، فصار يتجنب التواجد في تلك النوعية من الأماكن بشكل عام..

* * *

وصلت سيارة (هشام) إلى حيث كان يقضي أوقاته في الشباب، ترجل الرفيقان من السيارة، ثم تبع (حازم) أستاذه إلى الداخل، لم يكن المكان صاخبًا كما عَهِده الأخير قبل زمن.. فقد تقلّص عدد زواره كثيرًا، ولم يصبح المكان المفضل عند الشباب لقضاء أوقاتهم.. حتى أن الموسيقى الغربية التي كانت تغطي أركانه قد تغيرت، وجاء مكانها بعض الأنغام العربية الكلاسيكية للمطربين الراحلين أمثلة (أم كلثوم) و(عبد الوهاب) و(عبد الحليم)، بالإضافة لأن الشمس لم تغِب بعد، وأن هذا ليس الموعد الذي تمتلئ فيه تلك النوعية من الأماكن عادة.. فكان من الطبيعي ألا يجدا أمامهما سوى عدد قليل من المسنين في المكان..

تقدم (هشام) إلى إحدى الطاولات التي تجاور (البار)، ثم جلس وجلس أمامه الأخير، أخذ يطالع النظر حوله فيما يسترجع ذكرياته مع المكان لوهلة، ثم نظر إلى الفتى وبلهجة حنين قال:

- تعرف يا حازم؟.. المكان ده له ذكريات معايا كتير أوي.. لما أبويا الله يرحمه اتوفى كنت بنزل أدوّر على شغل أجيب منه أي فلوس، كنت وقتها أصغر منك بشوية حلوين.. وماكانش عندي أي مصدر دخل غير معاشه اللي يادوب بيكفي الأكل والشرب، فضلت أدوّر على شغلانة مش محتاجة شهادة في أي مطعم أو محل عشان مضطرش أبيع الكام حاجة اللي سابهالي قبل ما يموت..

لحد ما في مرة واحد صاحبي اقترح عليا إني أستغل موهبتي وأشتغل في أي حاجة ليها علاقة بالمزيكا.. وقتها رفضت اقتراحه بحجة إن المزيكا مش بتجيب فلوس، بس لما فكرت مع نفسي لقيت أن الفلوس اللي ممكن تدخللي من ورا المزيكا مش هتبقى أقل من الفلوس اللي هاخدها في أي شغلانة تانية من غير شهادة.. فالأولى إني أشتغل في الحاجة اللي بحبها، ساعتها بدأت ألفّ على الفنادق والمطاعم والبارات على أمل إني ألاقي فرصة عشان أعزف في أي مكان، لحد ما جيت هنا.. وقتها كان المكان هنا حاجة مختلفة خالص على فكرة.. كان مليان زباين ودوشة والحجز فيه بالضرب كل مناسبة.. يعني تقدر تقول إنه كان الراعي الرسمي لخروجات الشباب على أيامنا..

ربما كان (حازم) متلهفًا لمعرفة الأمر المهم الذي جاء إلى هنا من أجله، ولكنه لم يُبدِ أي علامات على ذلك، فقد تظاهر بالاهتمام والاستمتاع بقصة الأخير بينما كان يسردها، فتابع الأخير سرده قائلا:

- المهم.. في اليوم ده كنت زهقت من كتر ما بقابل مديرين وباترفض، فقررت أغير الاستراتيجية بتاعتي.. وبدل ما أطلب أقابل المدير بشكل مباشر قررت أتعامل على إني زبون عادي، وأول ما جاتلي الفرصة طلعت عزفت مع الفرقة على إني برضه زبون عادي..

ساعتها كل الموجودين انبهروا بمستوايا، وطبعًا أنت خمنت اللي حصل بعدها..

ابتسم (هشام) بنهاية عبارته، فبادله الأخير البسمة فيما أومأ برأسه مصدقًا، كان يأمل بداخله أن تنتهي القصة عند ذلك ويبدأ بمعرفة السبب الحقيقي وراء مجيئه إلى هنا، ولكن الأخير قد تابع حكايته المملة قائلا:

- فضلت بشتغل وعايش حياتي في المكان ده لحد ما جاتلي فرصة إني أخشّ في مشروع مع واحد صاحبي ويدخّل لي أضعاف اللي باخده هنا، لكن الغريب إني فضلت بعدها أقضي أغلب وقت فراغي هنا.. وفضلت بطلع أعزف مع الشباب كل ما تيجي فرصة.. زي ما أكون اتعلقت بالمكان وبقى جزء مني.. لحد ما في ليلة كنت سهران وشوفت بنت عجبتني جدًا، ماخبيش عليك أنا دخلت في علاقات كتير من أول ما بدأت أشتغل هنا.. لكن دي كانت أول مرة في حياتي أنجذب لبنت بالشكل ده، أول مرة أشوف واحدة وأحس إني عايزها في حياتي بجد.. مش عايز أقضي معاها ليلة والسلام، ماقدرتش أسيبها تمشي من غير ما أحاول ألفت نظرها وأتعرف عليها، وفعلا.. اتعرفت عليها واتكلمنا، وعرفت أن أبوها وأمها توفوا في حادثة من سنتين، وإنها عايشة مع أخوها الصغير وشايلة مسئوليتهم هم الاتنين..

ساعتها إعجابي بيها زاد، واتأكدت إني ماغلطش لما شوفتها بشكل مختلف..

ربما تخيل أن تعابير وجه (حازم) قد تبدلت منذ أن بدأ الأخير بالحديث عن شقيقته، ولكن هذا ليس بصحيح.. فإن تعابير وجهه قد ظلت ساكنة لا توحي بأي توتر أو غضب، ولم يحاول حتى أن يقاطع الأخير بينما يسرد حكايته، وكأن الحكاية لا تمت لماضيه بأي صلة..

استمر (هشام) بالسرد قائلا:

- عزمتني على حفلة عيد ميلادها وروحت.. لكن قبل الحفلة بكام ساعة عديت عليها البيت عشان أوصّلها هديتي.. أصلها يا سيدي كانت بتعزف تشيلو زيك.. لكن للأسف اضطرّت تبيعه عشان تسدد مصاريف حضانة أخوها.. فقلت أجيب لها واحد جديد عشان ترجع تلعب مزيكا تاني.. وقبل ما أمشي طلبت منها تيجي معايا مكان بعيد عن زحمة القاهرة عشان نحضر مع بعض مشهد مابيتكررش في العمر كتير.. سمعت عن قمر الدم قبل كدة؟

لم تكن تلك هي المرة الاولى التي يطرح بها (هشام) ذلك السؤال على أحدهم، ولم تكن المرة الأولى التي يقابله الأخير بأعين الاستغراب عندما يسمع ذلك السؤال أيضًا..

لذا فقد استخدم (هشام) نفس الكلمات التي استخدمها لشرح الظاهرة لمن طرح عليه السؤال من قبل..

* * *

الأربعاء ٥ يوليو ٢٠٠٠م

- لما الأرض بتحجب ضوء الشمس عن القمر بتحصل ظاهرة اسمها الخسوف.. احياناً بيكون خسوف جزئي، وده لما جزء من القمر بيدخل منطقة ظل الأرض، وأحيانًا تانية بيكون خسوف كلي.. وده لما القمر كله بيدخل منطقة ظل الأرض.. ساعتها بيقولوا عليه "قمر الدم"، لإن لونه بيكون أحمر لدرجة أشبه بلون الدم..

* * *

أومأ (حازم) برأسه مصدقًا فتابع الأخير حديثه قائلا:

- يمكن تستغرب أن واحد مالوش علاقة بعلوم الفلك يكون مهتم بالظاهرة دي أوي كدة.. وبصراحة كمان أنا سمعت عنها بالصدفة.. بس يمكن الأساطير اللي سمعتها هي اللي خلقت جوايا فضول اني أعرف عنها اكتر، ومن وقتها وأنا بقيت بتابع مواعيد ظهور قمر الدم،

وبقيت بفضي نفسي من كل حاجة يومها عشان أحضر الظاهرة من الكابينة بتاعتنا في اسكندرية..

بدأت ترتسم على وجهه تعابير الألم فيما تابع:

- لما طلبت منها تيجي معايا وافقت بشرط إنها تجيب معاها أخوها الصغير، ساعتها أنا ماعترضتش.. كان كل اللي في دماغي إننا هنروح نقضي يوم عالبحر، وفي وسط اليوم هنحضر الظاهرة مع بعض.. بعدها هنرجع زي ما جينا.. لكن اللي حصل إني تقّلت في الشرب اليوم ده.. وفجأة لقيت نفسي باعتدي عليها زي الحيوان.. وقبل ما أفوق من الحالة اللي أنا فيها كانت ضربتني على راسي وهربت.. حاولت أوصل لها بعد اللي حصل بكل الطرق عشان أقول لها إني ندمان ومستعد أصلح غلطتي وأتجوزها.. بس ماعرفتش.. وبعد ٣ شهور قريت في الجرايد إنها انتحرت..

بدأت الدموع تتساقط من عينيه وبنبرة حزن أضاف:

- فضلت عايش حياتي زي الأموات طول السنين اللي بعدها.. كانت صورتها مش راضية تغيب عن عيني لحظة.. وكانت آخر حاجة ممكن أتوقعها بعد العذاب ده كله هي أن أخوها يظهر في حياتي بعد ٢٠ سنة عشان ينتقم..

لم يكن ما يدور في بال (حازم) واضحًا على وجهه حقًا، فقد كانت تعابير وجهه تتغير بصورة طبيعية مع تطور أحداث القصة،

وكأنه مستمع عادي.. ليس أحد أهم أطراف القصة، لذا فقد كان من المتوقع أن يتظاهر بالبلاهة حين ينطق بأولى كلماته وبلهجة استنكار يقول:

- ظهر في حياتك إزاي؟

قام الأخير بإزالة الدموع عن وجهه ثم بابتسامة سخرية أجاب:

- جالي يا سيدي من فترة على إنه عايز يخش الفريق.. بس المشكلة إنه جالي ومعاه نفس التشيلو اللي جيبته لأخته في عيد ميلادها من عشرين سنة.. الظاهر ماكانش يعرف إن أنا اللي جايبه.

- بس أنا مش فاكر إن فيه حد غيري دخل الفرقة في الفترة اللي فاتت..

قالها (حازم) بنفس لهجة الاستنكار، ثم راح يفكر لوهلة، فارتسمت على وجهه علامات التعجب وبابتسامة سخرية أضاف:

- هو حضرتك بتتكلم عني؟

تنفس (هشام) الصعداء ثم نظر مباشرة إلى عيني عازفه وقال:

- بص يابني.. أنا مش جايبك هنا عشان أهددك وأقولك إنك لو مابعدتش عن حياتي هعمل وأسوّي.. أنا جايبك عشان أورّيك الجانب اللي ممكن تكون مش شايفه من القصة، عشان أعرّفك إني كنت بحبها.. وإني ماكنتش في وعيي لما عملت كدة.

يبدو أن (حازم) قد توقف أخيرًا عن التظاهر بكونه شخصًا مختلفًا عن الذي يتحدث عنه الأخير.. فقد تلاشت ملامح الاستغراب عن وجهه بينما راحت ضحكاته تتعالى بصورة هستيرية ومخيفة، ارتسمت علامات التعجب على وجه الأخير وسأله:

- بتضحك على ايه؟

هدأت ضحكاته قليلا وأجاب:

- وهو فيه حاجة ممكن تضحّك أكتر من إن واحد يدمر حياة بني آدم بالكامل ويبرر ده بإنه ماكانش في وعيه؟

تلاشت البسمة المتبقية من ضحكاته عن وجهه وبلهجة هجومية أضاف:

- أنت فعلا كنت فاكر إن شوية الندم اللي حسيت بيهم هيبقوا كفاية إن الحياة تغفر لك وتديلك فرصة جديدة؟!.. وللا فاكر إن العيل اللي شهد سابته وراها هيكبر ويكمل حياته بشكل طبيعي وهو ناسي اللي حصل؟!

ضحك لوهلة ثم تابع:

- قولتلي إنك سمعت أساطير كتير عن قمر الدم قبل كدة.. بس يا ترى عمرك سمعت إن له صوت؟.. آه.. صوت واحدة بتصرخ وبتقول الحقوني.

عادت ضحكاته لتتعالى بتلك الصورة الهستيرية من جديد، فارتسمت تعابير اليأس على وجه (هشام) فيما وضع عينيه بالأرض وبنبرة خافتة قال:

- واضح أن مفيش فايدة..

رفع عينيه إلى الأخير مجددًا وبلهجة تهديد أضاف:

- طب شوف.. من النهاردة تبعد عن بنتي تمامًا.. ولو شوفت وشك مرة تانية مش هرجّعك بيتك سليم.. ودلوقتي ياريت تتفضل من هنا.

عادت تعابير وجه الفتى إلى ما كانت عليه من هدوء وبابتسامة مخيفة قال: - أوامر حضرتك.

ثم غادر المكان في هدوء تام..

كان آخر ما يريده (هشام) هو أن يصل بالحوار إلى تلك المرحلة، ولكن الحالة التي وضعه بها الشاب قد أفقدته أعصابه تمامًا.. فقد رأى في عينيه طاقة شر لا يمكن وصفها، وكان مقدار الخوف الذي تملك من قلبه حينها كافيًا حتى ينسيه أنه قد جاء للاعتذار في الأصل، كما يبدو أنه قد نسي إقلاعه عن شرب الكحول لسنوات أيضًا.. فبعدما غادر الشاب نادى (هشام) على أحد الندل وقال:

- هاتلي شوت ويسكي.

الأحد ١٩ يناير ٢٠٢٠م
الساعة التاسعة صباحًا.

عزيزي القارئ، إن كنت من الجنس الناعم أو رجلا لم يسبق له الاستيقاظ على منظر زوجته وهي تنتظره بتعابير وجه غاضبة من قبل، فمن المحتمل أنني سوف أواجه صعوبة بالغة في التعبير لك عن مدى تعاسة بطلنا الآن.. فقد استيقظ المسكين للتو على منظر (شيرين) وهي تنتظره على مقعد مقابل للفراش بملامح وجه يملؤها الغضب، وكأنها لم ترِد إزعاج منامه حتى يصبح مؤهلا للشجار..
كان ذلك أمرًا متوقعًا بعدما عاد في ليلة البارحة ثملا أمام عينيها وعيني ابنته، وتوجه إلى الفراش بخطًا مترنحة، ولكن ما لم يكن متوقعًا هو أن تبدأ حديثها معه قائلة: - مين شهد دي يا هشام؟
لم يسبق وأن تحدث (هشام) إلى أي شخص عن ذلك الأمر، حيث تعمد إخفاءه عن الجميع في محاولة بائسة منه للنسيان، وتعمد إخفاءه عن (شيرين) بالأخص، حتى لا تتغير نظرتها له، فبدلا من أن تراه كرجل طيب يصلح ربًّا لأسرتها، تراه كرجل خسيس يجب إعدامه بالمقعد الكهربي.. لذا فقد صعق من سؤالها للوهلة الأولى، ولكنه قد تمكن من تفسير الأمر سريعًا، فابتسم بسخرية وقال:
- هو حازم لحق يكلمك؟

قالت منفعلة:

- ماتغيرش الموضوع يا هشام وجاوبني.. مين شهد دي؟

ببرود أعصاب أجابها:

- دي واحدة كنت أعرفها قبلك وماتت.

- ويا ترى ماتت طبيعي ولا انتحرت؟.. وانتحرت من نفسها ولا عشان الراجل المحترم اللي اتجوزته اغتصبها؟!

بلهجة انفعال قالتها، فصمت الأخير لوهلة ثم قال:

- أنا ماكنتش عايز أقولك عشان..

قاطعته صارخة:

- عشان ايه!

وضع (هشام) عينه بالأرض خجلا بينما صمت عاجزًا عن الإجابة من جديد، فبلهجة عتاب تابعت:

- من إمتى يا هشام وانت بتخبي عني حاجات زي دي؟.. ومن إمتى وانت بترجع البيت سكران وبتطوح قدام بنتك؟.. هو إحنا مش اتفقنا إنك تبطل القرف ده؟!.. ولا أنت مصمم تخليني أحس إني غلطت لما راهنت عليك؟!

انفجر الأخير قائلا:

- يووووه!.. انتي عايزة إيه يا شيرين؟!

أجابت دون تردد: - عايزة أتطلق يا هشام.

ارتسمت تعابير الصدمة على وجه الأخير، ثم انتفض من الفراش ليبدل ملابسه وبلهجة سخرية قال:

- انتي أكيد اتجننتي.

بلهجة انفعال قالت:

- لا ماتجننتش يا هشام.. وهتطلقني يعني هتطلقني!

التفت إليها الأخير وقال:

- شيرين.. أنا مقدر الحالة اللي انتي فيها كويس، وعشان كدة هعتبر نفسي ماسمعتش حاجة وهخرج دلوقتي أروح الشغل، بس ياريت لما أرجع تكوني راجعتي نفسك وعرفتي معنى اللي بتقوليه.

* * *

الفصل التاسع

الأحد ١٩ يناير ٢٠٢٠م
الساعة التاسعة والنصف صباحًا.

لا يخرج (هشام) إلى عمله في ذلك الموعد عادة، فقد اعتاد الأربعيني على الاستيقاظ في العاشرة صباح أيام العمل، ثم الخروج عند الحادية عشرة حتى يصل إلى مقر التدريبات في الموعد المحدد، أي في قرابة الثانية عشرة ظهرًا.. ولكن المشاجرة التي نشبت بينه وبين زوجته قبل قليل قد أجبرته على الخروج مبكرًا حتى لا يتطور الأمر بينهما ويلبي طلبها بالانفصال حقًا، وكان أول شيء فعله عندما غادر المنزل هو أنه قد حاول الاتصال بـ(حازم) عدة مرات حتى يوقفه عن تلك الأفعال الصبيانية التي قد تدمر له حياته بالكامل، ولكن الأخير كان هاتفه خارج الخدمة.. فجاء في بال (هشام) أن يستغل الوقت المتبقي على موعده في "دار الأوبرا" وينطلق بسيارته إلى منزل (حازم)، المنزل الذي كان ليعيش حياة أفضل إن لم يُقدم على زيارته قبل زمن..

* * *

لم يستغرق الأمر كثيرًا من الوقت حتى وصل (هشام) بسيارته إلى حيث يسكن الشاب، فإن الساعة لم تصل إلى العاشرة بعد، فكانت الطرقات لا تزال هادئة بطبيعة الحال.. ترجّل من سيارته ليتقدم إلى البناية ثم وقف يستفهم من الحارس عن رقم المنزل وبأي طابق يقع، تمامًا كما فعل حتى يفاجئ حبيبته قبل زمن.. وبمجرد أن أجابه الحارس راح يصعد السلم في عجالة متجاهلا كلمات الحارس:

- استنى بس يا بيه.. يا بيه استنى..

لحظات قليلة ووصل أمام باب المنزل، وقف يطرق الجرس لبضع ثوانٍ، ولكن أحدًا لم يفتح له الباب.. فبدأ يطرق بيديه على الباب بقوة، بينما يردد بصوت عالٍ:

- افتح يا حازم.. افتح أنا عارف إنك جوه..

ظل يطرق الباب بقوة فيما يردد تلك الكلمات، إلى أن خرجت له جارة عجوز لـ(حازم) وبلهجة تذمر قالت:

- يا أستاذ مش معقول الدوشة دي.. عايزين ننام!

تقدم لها الأخير بالاعتذار، ثم عاد ينزل السلم مستسلمًا، وما كاد يخرج من بوابة البناية حتى أوقفه الحارس بقوله:

- إيه يا بيه!.. ناديت على سعادتك كتير وانت طالع مش سامعني؟!

التفت إليه الأخير وأجاب:

- لا والله معلش كنت مستعجل.. خير فيه حاجة؟

- كنت هقول لسعادتك إن الأستاذ حازم خرج من ليلة إمبارح ومارجعش.. بس سعادتك مادتنيش فرصة.

قالها الحارس فارتسمت على وجه (هشام) ملامح الضيق، فيما تنفس الصعداء ثم قال:

- طب ماتعرفش راح فين؟

أومأ الحارس برأسه نافيًا وأجاب:

- لا والله يا بيه.. بس هو كان خارج ومعاه شنط سفر.. فا مش بعيد والله أعلم يكون سافر.

ربما كان (هشام) ليريح نفسه ويتوقف عند ذلك إن كان على يقين أن الطرف الآخر سوف يتوقف عند ذلك أيضًا، ولكنه كان يعلم جيدًا أن هنالك أكثر من طريق آخر يمكن لـ(حازم) أن يسلكه كي ينتقم، أهمها يكمن في (سلمى).. الفتاة المسكينة التي لا ذنب لها فيما حدث قبل زمن، والتي لا يملك (هشام) ما هو أغلى منها.. فكان من الضروري أن يصل إلى الشاب ويتأكد من إنهاء الأمر معه بشكل تام حتى يطمئن قلبه ويتمكن من العودة إلى حياته الطبيعية مجددًا، لذا قام بإخراج بضعة ورقات نقدية من حافظته ومعها البطاقة التي تحمل أرقامه ثم أعطاهم للحارس قائلاً:

- طب ياريت لو رجع في أي وقت تتصل بيا.

ثم عاد إلى سيارته وانطلق بها إلى مقر التدريبات على أمل أن يجد وسيلة أخرى للتواصل معه من خلال (هند).

* * *

وصل (هشام) إلى "دار الأوبرا" في تمام الحادية عشرة ظهراً، أي قبل ساعة كاملة من موعد التدريبات.. ولكن من حسن حظه أن (هند) كانت واحدة من الجماعة التي تأتي مبكراً، فطلب من أحد الشباب أن يناديها من الداخل، ثم قام بإشعال لفافة تبغ ووقف ينتظرها في الساحة الخارجية للمكان، ولم يستغرق الأمر كثيراً من الوقت حتى جاءت له الفتاة مهرولة وتقول:

- خير يا مايسترو؟.. قالولي إنك عايزني.

التفت إليها الأخير وقال:

- آه.. كنت عايز أسألك عن حازم.

ارتسمت على وجه الفتاة علامات التعجب وبلهجة استنكار قالت:

- حازم؟.. اشمعنى؟

تلجلج الأخير لوهلة ثم أجاب:

- أصل أنا وهو حصل بيننا خلاف بسيط إمبارح.. وبكلمه من الصبح موبايله مقفول، وبصراحة أنا خايف يبطل ييجي البروڤات.. الحفلة خلاص بعد بكرة وماعندناش وقت نجيب حد غيره.

ارتسمت معالم الحيرة على وجه الفتاة، فيما راحت تفكر لوهلة ثم عادت قائلة:

- طب أنا ممكن اروح بسرعة اجيبه من البيت و..

قاطعها الأخير قائلا:

- مانتعبيش نفسك.. أنا عديت عليه قبل ما آجي والبواب قالي انه سافر.

فرضت علامات التعجب سيطرتها على وجه الفتاة وقالت:

- سافر؟!.. سافر راح فين؟!

تنفس الأخير الصعداء فيما أجاب:

- مش مهم.. المهم حاولي توصليله في أسرع وقت.

* * *

عقب انتهاء (البروفات) وبينما كان يمضي المايسترو في طريقه للمغادرة قام بإخراج هاتفه الجوال من الحقيبة -التي اعتاد أن يتركه بها في ساعات العمل- لكي يرى إن حاول أحدهم الاتصال به أثناء (البروفات)، كان آخر ما يتوقعه هو أن يجد اثنتي عشرة محاولة اتصال من زوجته بعدما حدث بينهما في الصباح.. كما أنها لا تتصل به في ساعات العمل عادة، لذا توقف في مكانه بينما ارتسمت على وجهه علامات التعجب، ثم قام بالاتصال بها لكي يعرف ما الأمر،

فبلهجة انفعال أجابت: - أنت فين يا هشام؟!.. بكلمك بقالي ساعة مابتردش!

بهدوء أعصاب أجابها: - ما انتي عارفة إني مش برد على التليفون وقت البروفا.. خير فيه إيه؟

أجابت منهارة: - بنتك حاولت تنتحر!

اجتاحت معالم الذعر وجهه، وبلهجة انفعال قال:

- نعم؟!.. حاولت تنتحر إزاي يعني؟!

أجابت وهي تبكي:

- رجعت من الشغل لقيتها مرمية عالأرض وسايحة في دمها.. فكلمت الإسعاف وجم خدوها من ١٠ دقايق.

بدأ يمضي بسرعة في طريقه إلى السيارة بينما قال:

- طب انتي فين دلوقتي؟!

- أنا رايحة وراهم عالمستشفى اللي جنب البيت.

- طب أنا جي حالا.

قام بإغلاق الخط ثم ركب سيارته وانطلق بأقصى سرعة ممكنة إلى المستشفى.. كان يعلم جيدًا أن السبب وراء ما يحدث هو (حازم)، ولكنه لم يكن يأبه لأي شيء في الوقت الراهن سوى الوصول إلى ابنته والاطمئنان على حالتها.. وكعادة تلك الأوقات العصيبة، كانت العقارب تدور في ساعته بسرعة لا تصدق..

كانت السيارات لا تريد أن تتزحزح من أمام سيارته حتى تعطيه فرصة للانطلاق بالسرعة المطلوبة..

أخذت نبضات قلبه تتسارع فيما تتزايد قطرات العرق فوق جبينه وتتنقل الرعشة بين أطرافه حتى صار على أعتاب الانهيار، فبعد مرور نصف ساعة وعندما وصل إلى المستشفى كان في حالة يرثى لها..

اتصل بزوجته لكي يسألها عن مكانها، ثم راح يصعد درجات السلم بأقصى سرعة عنده، ولما وصل إلى الطابق الثالث وجدها جالسة إلى أحد مقاعد الانتظار في الطرقة التي تطل على غرف المرضى، توجه إليها على الفور ثم سألها بينما يحاول التقاط أنفاسه:

- سلمى جرالها حاجة؟!

أجابته مطمئنة:

- لأ الحمد لله.. هي دلوقتي في غرف الإفاقة، والدكتور قاللي أن ممكن بعد شوية ناخدها ونرجع البيت.

انحنى الأخير بجسده للأمام تعبًا فيما زفر بكل الضيق الذي شعر به على مدار نصف الساعة الماضية وقال: - الحمد لله.

* * *

على الرغم من صعوبة الموقف إلا أن الوقت بدأ يمضي بصورة شبه طبيعية على المايسترو منذ أن اطمأن على حالة ابنته، فقد جلس يتمالك أعصابه ويأخذ قسطًا من الراحة بجوار زوجته، ثم ذهب ليحضر كوبين من القهوة من (الكافيتيريا) الخاصة بالمستشفى، وعاد إلى زوجته لينتظرا خروج ابنتهما من غرف الإفاقة ويعودا بها إلى المنزل، حاولت (شيرين) في تلك المدة أن تتحدث معه عما دار بينهما في الصباح، ولكن الأخير قد طلب منها أن تؤجل مناقشة الأمر إلى حين آخر، بحجة أن هذا ليس الوقت والمكان المناسبين، وبعد مرور قرابة الساعتين خرجت (سلمى) من غرف الإفاقة منهكة، فقام (هشام) بإنهاء إجراءات خروجها من المستشفى، بينما أخذتها (شيرين) لتعود بها إلى المنزل، وتبعهما الأخير بسيارته.

* * *

عند وصولهم إلى المنزل طلبت (شيرين) من ابنتها أن تنتظر في غرفة المعيشة لبعض الوقت حتى تقوم بتنظيف غرفتها من آثار الدماء، وتتمكن الفتاة من الخلود إلى النوم، لحق (هشام) بزوجته إلى غرفة الفتاة ليتفقد ما حدث، أخذ يجول بعينه حول أركان الغرفة فيما يقف عند الباب، إلى أن رأى على الأرض شيئًا غريبًا..

إنها لوحة كبيرة لقمر الدم.. أو بمعنى أدق، لوحة سوداء وتتوسطها بقعة دم كبيرة من (سلمى)..

كان وحده في المشهد من يملك التفسير الذي يتعلق بقمر الدم، حيث كانت زوجته تعتقد أنها لوحة عادية من اللوحات الكثيرة التي تملأ غرفة (سلمى)، وأن نزيف ابنتها على تلك اللوحة السوداء بالتحديد كان من محض الصدفة ليس أكثر..

بدأت (شيرين) بوصف المشهد الصادم الذي رأته قبل بضع ساعات وقالت: - دخلت أشوف إذا كانت صاحية وللا لأ عشان أحضّرلها الغدا فلقيتها مرمية على الأرض وإيدها اليمين بتنزف على اللوحة دي، قربت منها وحاولت أفوّقها بس كان مغمى عليها، فكلمت الإسعاف وجم بسرعة خدوها على المستشفى.

صمت الأخير لوهلة فيما كانت عيناه سارحتين في منظر اللوحة، ثم قال:- تفتكري ايه اللي ممكن يكون خلاها تعمل كدة؟

ارتسمت ملامح الاستغراب على وجهها وبلهجة استنكار أجابت:

- مش عارفة.. دي بعد ما أنت نزلت الصبح قعدت تفطر معايا وكانت بتضحك ومش باين عليها أي حاجة غلط.

أومأ الأخير برأسه مصدقًا، ثم أشار إلى آثار الدم وقال:

- طب خشي انتي نضفي الدم ده، وأنا هطلع أقعد معاها وأحاول أفهم منها أي حاجة.

تقدمت (شيرين) إلى الغرفة لكي تزيل آثار الدماء عن الأرض، فيما عاد الأخير إلى غرفة المعيشة ليحاول التواصل مع ابنته ويجد منها تفسيرًا منطقيًا لما فعلته.. أو بمعنى أصح، يفهم ما فعله ذلك الفتى المريض بها.. جلس بجوارها على الأريكة ثم بدأ يحدثها بلغة الإشارة، ولكن الفتاة قد ظلت ساكنة دون أن تعطيه أي رد، مرت بضع دقائق وهو مستمر في محاولاته للتواصل معها إلى أن عادت (شيرين) من غرفة ابنتها وقالت:

- خلاص يا هشام.. خليها ترتاح النهاردة وبكرة أنا هحاول أفهم منها اللي حصل.

ثم أخذت بيد الفتاة وذهبت بها إلى غرفة النوم، لحظات قليلة وعادت إلى زوجها قائلة:

- آدينا يا سيدي بقينا في بيتنا والبنت نامت.. ممكن بقى نتكلم شوية؟

التفت الأخير إليها وقال:

- نتكلم في إيه يا شيرين؟.. هو إحنا مش اتفقنا إنك تهدي وتفكري في اللي قولتيه الأول؟

أومأت (شيرين) برأسها مكذّبة وقالت:

- احنا ماتفقناش يا هشام.. أنت اللي قولت، وأنا ما زلت مصرّة على طلبي بإني أتطلق.. الموضوع بالنسبالي مش محتاج تفكير.

انتفض الأخير من مكانه وبلهجة انفعال قال:

- يعني إيه مش محتاج تفكير؟!.. إنك تنهي ١٧ سنة جواز عشان غلطة جوزك عملها قبل ما يعرفك بسنتين دي حاجة مش محتاجة تفكير؟!.. إن بنتك تعيش حياتها بين أب وأم منفصلين بسبب حدوتة سمعتيها من واحد لسه ظاهر في حياتنا من أسبوعين دي حاجة مش محتاجة تفكير؟!

بدأت الدموع تتساقط من عينيه فيما تابع:

- انتو ليه ماحدش فيكم قادر يسامحني؟.. ليه ماحدش قادر يفهم إني بني آدم وممكن أغلط؟.. هو انتي يا بنت الحلال عمرك شوفتي مني حاجة وحشة؟.. عمرك سمعتي إني بخونك زي ما باقي الرجالة بتعمل بعد سنتين تلاتة بالكتير من الجواز؟.. ده أنا من يوم ما عرفتك وبقت حياتي كلها من البيت للشغل ومن الشغل للبيت.. حتى أصحابي بعدت عنهم عشان أقدر أوفي حقوقكم عليا.

لم يبدُ على (شيرين) أي تأثر من كلمات زوجها، فقد ابتسمت بسخرية ثم بهدوء أعصاب قالت:

- مشكلتك يا هشام إنك مش قادر تفهم أنا باطلب الطلاق منك ليه.. أنا مش واجعني اللي أنت عملته زمان قد ما واجعني إنك خبيته عني كل السنين دي.. أنت استخدمتني يا هشام..

استخدمتني عشان تبدأ صفحة جديدة من حياتك..

زي أي بني آدم بيربط الفعل اللي دمه تقيل على قلبه بساعة معينة، يعني حتى لو كنت اتغيرت ١٨٠ درجة من ساعة ما عرفتني، فأنت ماعملتش ده عشان بتحبني.. أنت عملت ده عشان كنت عايز اسمي يبقى أول كلمة تتكتب في صفحتك الجديدة.

ارتسمت ملامح الغضب على وجه الأخير وبلهجة أكثر انفعالاً قال:

- وإيه يعني؟!.. إيه يعني لما أحس إن دنيتي القديمة مابقتش سايعاني وأقرر أبدأ دنيتي الجديدة فيكي؟!

هدأت نبرته بعض الشيء فيما عادت الدموع للتساقط من عينه مجددًا وأضاف:

- بس هقولك إيه؟.. ما انتي معذورة.. واحدة زيك أكيد عمرها ما غلطت، عمرها ما اتحطت في أي ظروف ممكن تسمحلها إنها تغلط من أساسه.. فأكيد برضه عمرها ما هتفهم إحساس البني آدم لما يبقى نفسه يرمي كل القديم ورا ضهره ويبتدي صفحة جديدة.

- لما تبقى صفحتك الجديدة مرتبطة بحياة بني آدم تاني يبقى البني آدم ده من حقه يعرف كل حاجة حصلت قبلها.. على الأقل يا أخي عشان يبتدي معاك حياتك الجديدة وهو عارف أنت مين.

قالتها (شيرين) فابتسم الأخير سخرية وقال: - وتفتكري أنا لو كنت أول ما عرفتك جيت قولتلك إني اغتصبت واحدة من سنتين وانتحرت بس أنا ندمان وبحاول أبدأ حياة جديدة دلوقتي كنتي هتوافقي تتجوزيني وتبدئي الحياة دي معايا؟

بنصف ابتسامة أجابت: - تصدق يمكن.

تبدلت تعابير وجهه وبلهجة حماس قال:

- طب إحنا فيها.. أديكي دلوقتي عرفتي، وبيتهيأ لي السنين اللي فاتت كلها أثبتتلك إني فعلا كنت ندمان وعايز أتغير وأبدأ من جديد.. يبقى إيه المانع إننا نكمل؟

بنبرة ضيق أجابت:

- صعب يا هشام.. صعب عليا أقبل إني أكون عايشة مع راجل كان مخبي عني طول السنين اللي فاتت أكتر حاجة المفروض أكون عرفاها عنه.. وإني حتى لما عرفتها ماعرفتهاش عن طريقه..

بدأت الدموع تتساقط من عينيها وتابعت:

- من ساعة ما اتجوزنا وأنا بحاول أتجاهل الحقيقة دي وأقنع نفسي إنها أوهام من خيالي.. بس أنت مش بتحبني يا هشام.. أنت شوفت فيا الست المثالية للحياة الزوجية اللي ممكن تنسيك الماضي واللي حصل فيه.. وأكبر جريمة ممكن ترتكبها في حق أي ست هي إنك تربطها بيك وانت مش بتحبها.. طلقني يا هشام.. اتقي ربنا فيا وطلقني.

صحيح أن (هشام) كان زوجًا وفيًّا لها طوال السنوات الماضية، ولكن (شيرين) لم تكن مخطئة فيما قالته على الإطلاق..

فهو لم يرها يومًا بالطريقة التي تراه بها..

حيث كان دائمًا ما يراها كزوجة متكاملة ومناسبة تمامًا للحياة المنضبطة التي يريد أن يعيشها ليكفّر عن ذنوبه، ولم يسبق أن رآها كحبيبة يريد أن يعيش معها الحياة في سعادة واستمتاع، لذا لم يجرؤ على مماطلتها فيما تقوله، فأومأ برأسه مصدقًا وقال:

- انتي طالق يا شيرين.

ثم التفت ليغادر المنزل على الفور.

* * *

تبدو الأمور على ما يرام حين تستيقظ من النوم على وجه زوجتك المتبسم وأنت تؤمن بأنك لم تخطئ في حقها من قبل.. ثم تسألها عن أحوال ابنتك، فتطمئنك بأنها لا زالت سجينة للغرفة التي تحميها من شرور البشر.. عندها يصبح الوقت المناسب للحياة أن تتدخل لتستعرض عليك قدرتها على تحويل مسار الأمور بسرعة غريبة، فيظهر في حياتك شاب عشريني بصفة لا تدعوك للقلق.. ثم يتسبب ذلك الشاب في دمار حياتك بالكامل في غضون ساعات قليلة، فتدرك أن ليس عليك الاطمئنان في تلك الحياة.. خاصة عندما تخطئ في حق أحد يعرف سبل الانتقام.

* * *

الفصل الأخير

الأحد ١٩ يناير ٢٠٢٠م
الساعة الثامنة مساءً.

عند مغادرته للمنزل حاول (هشام) الاتصال بـ(حازم) لمرة أخرى، فوجد أن هاتفه لا يزال خارج الخدمة.. أخذ يفكر في مكان يحتويه في ذلك الوقت، فلم يجد أمامه سوى مكان واحد.. نعم، إنها الحانة اللعينة التي بدأ منها كل شيء، والتي سوف يجد بها المسكّن المحبب لأوجاعه..

كان يفكر طوال الطريق فيما حدث له خلال اليومين الماضيين، فيتساءل بينه وبين نفسه.. كيف لحياة قد تطلّب منه الأمر ما يقرب من عشرين عامًا كي يبنيها أن تدمّر في أقل من ٤٨ ساعة؟.. لماذا لم يسامحه القدر بعد كل تلك السنوات من الندم وجلد الذات؟.. ويا ترى ماذا كان ليحدث إن لم يكتشف حقيقة الشاب وتركه ليكمل خطته في الانتقام؟.. أكان هنالك ما هو أسوأ من ذلك؟

* * *

لم تكن الحانة منبوذة كما كانت عندما زارها في المرة الأخيرة برفقة عازفه الشاب، فقد وصل إليها (اليوم) في تمام التاسعة مساءً، أي في واحدة من الساعات الحيوية لتلك النوعية من الأماكن.. لذا لم يكن من الغريب أن يجد عددًا من السياح وكبار السن في الأرجاء، أما بخلاف ذلك فلم تختلف الأجواء كثيرًا عن آخر مرة..

جلس إلى إحدى الطاولات المجاورة لـ(بار)، ثم بدأ يطلب مشروبًا تلو الآخر، حتى تجرع كمية هائلة من الكحول، فيما دخّن علبة كاملة من السجائر، ومرّ على وجوده أكثر من ساعتين دون أن يشعر.. لم يفكّر طوال تلك المدة في أي من الأمور العملية التي يجب عليه التفكير فيها لتجاوز تلك الأيام العشرة حقًا، أي أنه لم يفكر في مكان يبيت فيه الليلة، أو في الحفل الكبير الذي سوف يحييه يوم الثلاثاء في حضرة نجوم المجتمع، أو حتى في نهار الاستعدادات الأخير الذي يجب عليه حضوره واعيًا بعد ساعات.. كان كل ما يشغل باله هو (حازم).. ما فعله به (حازم).. وكم يتمنى تهشيم عظام جمجمة (حازم).. فعندما رفع عينه إلى النادل وهو يقدّم له سابع زجاجة كحول لم يجد أمامه النادل، بل وجد -في ردائه- (حازم)..

بالطبع كان ذلك من وحي خياله.. ولكنه لم يشك للحظة في هذا، فانتفض من مقعده ليدفع بجسد الأخير على الأرض، ثم بدأ ينهال على وجهه باللكمات فيما يسبّه بأبشع الشتائم والألفاظ..

عندها أسرع جميع من بالمكان لإنقاذ النادل من بين يديه، وفي غمضة عين عاد ليرى النادل في وجهه الحقيقي.. فابتعد عنه على الفور، فيما ارتسمت على وجهه تعابير الحرج وراح يعتذر للجميع وللنادل بصورة أخص، ثم قام بدفع الحساب وأعطى للنادل البطاقة التي تحمل أرقامه الشخصية لكي يسدد له أي تعويضات يريدها، وغادر المكان من شدة الخجل..

عندما عاد للسيارة أراح رأسه إلى المقعد لوهلة فيما راح يلتقط أنفاسه مما حدث، ثم اتصل بـ(هند) لكي يعرف إن تمكنت من الوصول لعازفه السابق كما طلب منها في الصباح، أجابت والنوم يغلب على صوتها: - أيوة يا مايسترو.

بلهفة قال: - أيوة يا هند.. طمنيني إيه الأخبار؟!

ظنت الفتاة أنه يسأل عن أخبارها، فبحسن نية أجابت:

- الحمد لله تمام.

انفعل الأخير قائلا:

- أنا مش بسألك عن أخبارك يا هند!.. أنا بسألك عن الحيوان اللي مختفي من امبارح.. عرفتي توصليله ولا لسه؟!

بهدوء أعصاب أجابت:

- آه حازم.. لا والله يا مايسترو كلمته كتير موبايله مقفول.

تضاعف انفعال الأخير في قوله:

- ما أنا عارف يا بني آدمة أن موبايله مقفول!.. هو مش انتي برضه اللي جايباه؟!.. ما تتصرفي وتعرفيلي هو في أنهي مصيبة!

لم تقدر (هند) على مواجهة الأخير بأنها لا تعرف للوصول إلى الشاب سبيلا آخر حتى لا يفقد أعصابه أكثر من ذلك، فتنفست الصعداء ثم قالت:

- حاضر.

- شكرًا!

قالها الأخير ثم قام بإغلاق الخط على الفور، وما كاد يرفع عينيه عن الهاتف حتى تفاجأ بوجه عازفه السابق في المرآة -التي تقع أمامه- وبابتسامة مخيفة يقول:

- بتدوّر عليا؟

ارتسمت معالم الفزع على وجه الأخير، فيما التفت لينظر خلفه على الفور، ولكنه لم يجد أحدًا.. فعاد لينظر إلى المرآة بسرعة، فلم يجد أحدًا أيضًا.. بدأ يدرك حينها أنه بحاجة شديدة للنوم كي يفيق من آثار الكحول ويصبح مؤهلا للقيادة وحضور نهار الاستعدادات الأخير بعد ساعات، فأراح ظهره إلى الخلف ثم غط في نوم عميق..

* * *

استيقظ (هشام) في صباح اليوم التالي على صوت يد تطرق على زجاج النافذة المجاورة له بقوة، فوجد أنه ضابط شرطة.. وبمجرد أن فتح له النافذة قال:

- رخصك.

قام بإخراج الرخص من (الشماسة) ثم أعطاها له قائلاً:

- اتفضل.

أخذ الأخير يتفحصها لوهلة ثم عاد إليه مستفهمًا:

- ايه اللي منيمك هنا؟

أشار بيده إلى الحانة بينما أجاب:

- كنت سهران هنا وحسيت إني مش قادر أسوق.. فنمت.

نظر الأخير إلى الحانة ثم عاد وبلهجة سخرية قال:

- ويا ترى دلوقتي قادر تسوق ولا تحب أسيبك ترتاح شوية كمان؟

أجاب ضاحكًا:

- لا خلاص.

ابتعد الأخير بجسده عن النافذة، فيما أعاد له الرخص وأشار له بالمغادرة قائلاً:

- طب يلا من هنا.

أدار (هشام) محرك السيارة ثم انطلق بها بعيدًا دون أن يعرف إلى أين وجهته، ولكن عندما نظر إلى ساعته أدرك أن الضابط قد أيقظه في الموعد المناسب تمامًا.. فإنها العاشرة والنصف صباحًا، وهذا يعني أنه قد بقي ساعة ونصف على آخر استعدادات الحفل، لذا توقف عند أحد مطاعم الوجبات السريعة ليدخل المرحاض ويبتاع وجبة فطور بسيطة، ثم انطلق بسيارته إلى مقر التدريبات.. كان يشعر حينها أنه في حالة أفضل من التي كان بها في ليلة البارحة، فقد نام لمدة ١٠ ساعات تقريبًا، وهذا أمر طبيعي بالنسبة للكم الذي شربه من الكحول.. فإن الكحول له قدرة غريبة على تنويم المرء، حتى وإن كان قد استيقظ للتو.. ولكنه لا يملك القدرة على خلق الهواجس والخيالات.

* * *

عند وصوله إلى مقر التدريبات، وبينما كان العازفون يصطفون على المسرح -استعدادًا للـ(بروفا) الأخيرة- نادى (هشام) على تلميذته النجيبة ليتحدث إليها على انفراد بجوار المسرح، وعندما جاءت له قال: - ها؟.. عرفتي توصلي له وللا لأ؟

ارتسمت معالم الحرج على وجه الفتاة وأجابت:

- مش عارفة أقول لحضرتك إيه والله.. أنا حاولت أوصل له بكل الطرق معرفتش، وسألت أختي عنه وطلعت برضه ماتعرفلوش أي مكان أو رقم غير اللي حاولنا نوصله عليهم.

على عكس ما توقعت (هند).. لم ينفعل الأخير أو يصرخ في وجهها أبدًا، بل أومأ برأسه مصدقًا وبلهجة تفهّم قال:

- ولا يهمك.. مش هتقف عليه.

ارتسمت علامات التعجب على وجهها وقالت:

- يعني بجد حضرتك مش زعلان؟

أجاب مبتسمًا:

- لا هزعل من إيه؟.. انتي مالكيش أي ذنب في اللي حصل..

بدأت ملامح البهجة ترتسم على وجهها فتابع:

- أنا كمان عايز أعتذر لك على الطريقة اللي كلمتك بيها إمبارح في التليفون.. أصلي بصراحة كان عندي مشاكل كتير في البيت وأعصابي كانت تعبانة شوية.

أومأت الفتاة برأسها مصدقة وبابتسامة ودّ قالت:

- لأ أنا متضايقتش أصلا.. حضرتك في مقام والدي.

بادلها الأخير البسمة فيما أشار لها بالعودة إلى المسرح قائلا:

- طب يلا ارجعي مكانك عشان هنبدأ.

* * *

على الرغم من أن (هند) هى التي جاءت بـ(حازم) إلى الفريق منذ البداية، إلا أن (هشام) لم يشك للحظة أنها متواطئة معه، فقد رافقته الفتاة لعدة أعوام دون أن تسبب له أية مشكلة، وكان من المنطقي أن تختفي مع (حازم) إن كانت متواطئة معه، لذا يؤمن (هشام) بأنها مجرد أداة قد استخدمها (حازم) للوصول إليه، وأنها -على الأرجح- لا تعرف شيئًا عن المدعو "قمر الدم"..

* * *

عادت (هند) إلى زملائها ثم لحق بها (هشام) إلى خشبة المسرح لكي يستأنف النهار الأخير من استعدادات الحفل، كانت الأمور تسير بصورة طبيعية حتى آخر لحظات المعزوفة.. عندما كان ينظر المايسترو إلى (النوتة) -التي تحمل معزوفة الحفل- ثم عاد بنظره إلى الفريق ليجد أن جميعهم قد تحول إلى (حازم).. جميعهم قد لبس وجهه وجسده وملابسه، وجميعهم يعزف بينما ينظر إليه بنفس الابتسامة المخيفة التي يبتسمها.. وبعد انتهاء المعزوفة سمع صوت تصفيق من خلفه، فالتفت إلى مصدر الصوت ليجد حبيبته القديمة تجلس مبتسمة في مقدمة صفوف الجمهور.. فما كان منه سوى أن يركض بأقصى سرعة إلى البوابة الخلفية للمسرح، ثم خرج يكرض منها للشارع كالمجنون، فوقع ضحية سيارة مسرعة.. وتحول كل شيء في عينه إلى اللون الأسود.

* * *

استيقظ (هشام) ليجد جسده مكبلا بالحبال على الأرض، وبين جدران غرفة منزلية ذات سعة متوسطة، كان يشعر بألم شديد في ضلوعه.. حيث المنطقة التي ارتطمت بها السيارة، ولم يكن يعرف أين هو وكيف جاء إلى هنا، ولكم ساعة قد غاب عن الوعي.. رفع عينه وبدأ ينظر حوله ليحاول تبين المزيد من معالم المكان، عندها شعر أنه قد زار ذلك المكان من قبل.. ثم تأكد من هذا الشعور حينما وقعت عينه على بعض الصور التذكارية المعلقة فوق أحد الجدران، حيث كانت الصور تجمع بين حبيبته القديمة وعازفه السابق ووالديهما.. عندها سمع صوتًا يقول:

- وحشك البيت؟

التفت إلى مصدر الصوت ليجد أمامه (حازم)، فلم يقدر على التحكم بأعصابه وصرخ في وجهه قائلا:

- أنت عايز مني إيه!

بهدوء أعصاب أجابه:

- عايز حقي.. حق السنين اللي ضاعت من عمري وأنا عيني مكسورة قدام نفسي ومش قادر أعيش الحياة زي أي بني آدم طبيعي.

- وحقك ده مارجعلكش بعد ما خربت بيتي ولعبت في دماغ مراتي وبنتي؟!

- لعبت في دماغ مراتك وبنتك؟

بلهجة سخرية قالها (حازم) ثم انفجر في الضحك لوهلة وتابع:

- أنت بتهزر ولا إيه يا مايسترو؟.. هو أنت فاكرني واحدة بتحوم حواليك عشان لما تحب تاخد حقها منك تقوم موقعة بينك وبين أهل بيتك؟

سأله منفعلا:

- اومال بتسمي اللي أنت عملته ده إيه؟!

بدأ يجول حول أركان الغرفة وبابتسامة مكر أجاب:

- بسميه تمويه.. شغل بسيط بعمله عشان تبقى فاكر إن ده اللي عندي.. فتخرج من المسرح وانت مش عامل حساب إن ممكن عربية تيجي تشيلك.. وتصحى تلاقي نفسك مربوط ومتكتف قدام أكتر واحد نفسه يتشفى فيك..

بلهجة سخرية تابع:

- بس إيه يا راجل الفضيحة اللي عملتها في البار إمبارح دي؟.. أنا لو منك ماعتبش المكان ده تاني.

ارتسمت علامات التعجب على وجه الأخير وقال:

- أنت بتراقبني؟

تلاشت البسمة عن وجه (حازم) وبأعين تملؤها الكراهية أجاب:

- من سنين.

ضحك الأخير عجبًا ثم قال:

- لو كنت أعرف إنك لسه عايش من شهر واحد كنت جيت لحد عندك وساعدتك بأي حاجة تحتاجها.. إنما دلوقتي لو جاتلي الفرصة هقتلك بدم بارد.

امتعض وجه الفتى وقال:

- اسمحلي يا مايسترو أقول لك إنك كداب.. أنت ماحاولتش تعرف إذا كنت عايش ولا ميت، ومافيش أي خبر وصلك إني مت من الأساس.. أنت بس كنت ناسي إني موجود.. ناسي إن كان فيه عيّل صغير معاكم يوم ما عملت عملتك، وماسألتش نفسك العيل ده راح فين بعد ما البني آدمة الوحيدة اللي بقياله في الدنيا ماتت..

بلهجة سخرية تابع:

- وبعدين أنت بجد عايز تقتلني عشان عملتلك شوية مشاكل في البيت؟.. أومال لو شوفت المفاجأة اللي محضرها لك دلوقتي هتعمل إيه؟

ارتسمت معالم الخوف على وجه الأخير وقال:

- مفاجأة؟.. مفاجأة إيه؟

لم يحتاج (حازم) للإجابة على سؤاله، فقد أعلنت المفاجأة عن نفسها حين تخلل المشهد صوت امرأة تستغيث -بفم مكتوم- من الداخل.. فاستنتج الأخير أنها زوجته السابقة، ثم عاد بنظره إلى الفتى ليجد على وجهه الابتسامة الأكثر شناعة على الإطلاق..

بلهجة خوف سأله: - شيرين؟

- وسلمى.

تضاعف مقدار الخوف بداخل (هشام) حين نطق الأخير بتلك العبارة، وما كاد يحاول استيعات مدى سوء الموقف حتى قاطع الأخير تفكيره قائلا:

- دلوقتي جه وقت الانتقام الحقيقي.. حضرتك هتفضل هنا، وأنا هخش أعمل في مراتك وبنتك نفس اللي عملته في أختي زمان.. ولو فكرت تعمل حاجة..

قام بإظهار مسدس كان يختبئ أسفل حزامه، ثم بابتسامة ونبرة تهديد تابع:

- بلاش أحسن.

لم يجد (هشام) شيئًا يفعله سوى أن ينحني بخصره ليحاول تقبيل قدم الأخير وبلهجة توسل يقول:

- أبوس رجلك.. أبوس رجلك بلاش تدخّلهم في اللي بيننا.. أنا اللي أذيتك مش هم.. خد حقك مني أنا!

لم يأبه (حازم) لتوسل الأخير إليه على الإطلاق، حيث أولاه ظهره وراح يمضي إلى الغرفة التي احتجز بها ابنته وزوجته السابقة بلا أي رحمة.. ظل الأخير يصرخ ويبكي، فيما يترجاه بشتى العبارات أن يتوقف، ولكن الفتى قد تابع طريقه للانتقام دون أن يلتفت..

فجلس الأربعيني يبكي وينطح برأسه الجدار بلا حيلة، تمامًا كما فعل مختطفه عندما كان صغيرًا.. وبعد مرور بضع دقائق عاد إليه الفتى وبابتسامة تشفٍّ قال:

- كدة أقدر أقول إن حقي رجعلي.

فرضت معالم الكراهية سيطرتها على ملامح وصوت الأخير في قوله:

- لو عشت يوم واحد في الدنيا دي بعد النهاردة فأنا هعيشه عشان أقتلك.

ضحك الفتى سخرية وقال:

- استنى بس قبل ما تتعصب عليا كدة.. خليني الأول أحكيلك حكاية صغيرة وأوعدك إنك لو سمعتها معايا للآخر هتهدى.. اتفقنا؟

صمت (هشام) ممتنعًا عن الإجابة، فأجاب الأخير نيابة عنه:

- اتفقنا..

جلس في مقابلته على الأرض ثم شرع بالسرد قائلا:

- لما كنت قاعد بلعب على البحر وسمعت شهد وهي بتصرخ طلعت أجري على الكابينة، ساعتها لقيت الباب مقفول.. حاولت أفتحه بكل الطرق.. لكن ماعرفتش، ففضلت أعيط قدامه وأنا مش عارف حتى إيه اللي ممكن يكون يحصل لها جوه.. كل اللي كنت عارفه إنها محتاجاني، وإني مش قادر أساعدها..

أطرق ببصره إلى الأرض لوهلة فيما ارتسمت على وجهه معالم الأسى، ثم عاد وبنبرة تحمل الكثير من الألم تابع:

- من يومها وهي مارجعتش زي الأول.. بقت بتعمل لي الأكل وماتاكلش معايا.. صحابها بيكلموها فتقول لي أرد عليهم وأقول لهم إنها نايمة.. مابتتكلمش.. مابتهزرش.. مابتخرجش.. مابتعملش أي حاجة عشان تفرّح نفسها.. زي ما تكون عجّزت.. وبقت عايشة بس عشان تخدمني.. كنت عارف إن السبب في ده هو اللي حصل يوم ما سافرنا اسكندرية، بس كنت كل ما بحاول أتكلم معاها وأفهم منها اللي حصل تتهرب مني.. وفضل الحال على كدة ييجي ٣ شهور.. لحد ما في يوم قعدت تتكلم معايا وفضلت تديني في نصايح وتوصيني بحاجات كتير مش فاهمها.. وكانت أكتر حاجة أكدت عليها هي إني عمري ما آجي على حد مارتكبش في حقي أي ذنب.. وفي اليوم اللي بعده صحيت مالقتهاش..

قام بجسده من على الأرض ثم أردف:

- أنا ماعملتش في ستاتك حاجة.

تبدلت تعابير وجه (هشام)، فيما قام الأخير بإخراج المسدس من أسفل حزامه ثم وضعه في رأسه، أدرك (هشام) أنه سوف يقدم على الانتحار، فحاول إيقافه قائلا:

- أنت بتعمل إيه؟!.. أنت فاكر إنك كدة هتحل حاجة؟!.. نزّل يابني المسدس ده!

ابتسم الأخير قائلا:

- أنت لسه عندك فرصة إنك تنسى اللى فات وتعيش حياتك الباقية زي أي بني آدم طبيعي.. إنما أنا خلاص.. نسيت الحياة بتتعاش إزاي.

ثم أطلق على نفسه رصاصة الرحمة.

* * *

لا يولد الجميع لكي يعيش الحياة في صورتها الطبيعية، فهنالك من يمر بقصة أشد قسوة مما يمكنه أن يحتمل.. تزوره في المنام، تخطر في باله كلما كان على أعتاب السعادة، فتعيد طلاء قلبه باللون الأحمر كلما بهت.. فيعيش الحياة أسيرًا لها، وتصير له المحرك والدافع تجاه أي شيء.. فعندما تنتهي، ينتهي معها.

* * *

السبت ١٨ يوليو ٢٠٢٠م
الساعة العاشرة صباحًا.

في صالة الاستقبال لإحدى دور رعاية الأيتام، وبينما كان يجلس في انتظار دوره للتبرع، لاحظ (هشام) أن أحد الموجودين يراقبه.. هو شاب يبدو في منتصف العقد الرابع من عمره، له لحية كثيفة وشعر رأس طويل، يراه (هشام) في كل مرة يأتي للتبرع، وكأن كلاهما قد اختار الموعد ذاته لعمل الخير..

تظاهر (هشام) بعدم ملاحظته لنظرات الشاب، ولكن الأخير كان قد غادر مقعده ثم جاء ليجلس بجواره وقال:
- ممكن أسأل حضرتك سؤال؟
بابتسامة ود أجابه:
- أكيد.. بس مش أتعرف بحضرتك الأول؟
بادله الأخير البسمة قائلا:
- آه طبعًا.. أنا ستيفن.
- وأنا هشام.

تبادل كلاهما السلام بالأيدي، ثم قال (ستيفن):

- أنا بشوف حضرتك في كل مرة باجي فيها هنا تقريبًا.. حتى في أيام ما كانت الناس كلها قاعدة في بيوتها وخايفة تتحرك، كنت بلاقي حضرتك برضه جي تتبرع.. عارف إن مش من حقي أسألك ليه بتعمل كدة.. بس بصراحة عندي فضول إني أعرف.

ابتسم الأخير بسخرية ثم قال:

- سمعت عن قمر الدم قبل كدة؟

تمت

دار إضافة
للنشر والتوزيع

الإسكندرية
ج . م . ع

www.Idafabooks.com